



المنهج الدعوي في سورة النبأ (دراسة تطبيقية في الخطاب الدعوي المعاصر)

د. أمة العليم محمد محمد القزحي

قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية التربية - جامعة المحويت، اليمن.

Da'wah methodology; Surat al-Naba; contemporary Islamic discourse.

Amat Al-Aleem Mohammed Mohammed Al-Qazhi

Department of the Holy Quran and Its Sciences – College of Education – Mahweet University, Yemen.

(تاريخ الاستلام: 2026/6/2م، تاريخ المراجعة: 2026/6/23م، تاريخ القبول: 2026/8/5م)

*Corresponding author: alieemh2020@gmail.com

المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف وتأصيل المنهج الدعوي في سورة النبأ، باعتبارها أنموذجاً قرآنياً فذاً في بناء العقيدة ومواجهة الشكوك والتحديات المعاصرة، مُنْطَلَقَةً من إشكالية جوهرية تتمحور حول منهجية الخطاب القرآني في معالجة قضية البعث والجزاء وتحويلها من مفهوم غيبي إلى حقيقة مستقرة في العقل والوجدان، مُسْتَعِدَّةً المنهج الاستنباطي التحليلي الوصفي، من خلال تفكيك البناء الموضوعي للسورة، وتحليل المناهج الدعوية والقواعد الموظفة فيها، وتكوّنت الدراسة من مُقَدِّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وملحق، تناول **المبحث الأول**: الإطار المفاهيمي للبحث، **والمبحث الثاني**: المنهج الدعوي في سورة النبأ، **والمبحث الثالث**: تطبيق المنهج الدعوي في سورة النبأ في الخطاب الدعوي المعاصر، وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها: أن سورة النبأ تؤسس أنموذجاً دعوياً تكاملياً؛ يجمع بين الاستدلال العقلي والتصوير المشهدي الوجداني، مما يعزز من فاعلية التأثير الدعوي، كما أن المنهجية التي اتبعتها السورة في الانتقال من التساؤل إلى البرهان، ثم إلى النتيجة تُمَثِّلُ مرجعيةً أصيلة يمكن استثمارها في صياغة الخطاب الدعوي المعاصر المُوجَّه لمواجهة الشبهات المادية والإلحادية، وتوصي الدراسة بضرورة توظيف هذا المنهج القرآني في البرامج الدعوية والتربوية، وتؤكد على أهمية الاستمرار في هذا النوع من الدراسة بما يخدم قضايا العصر.

الكلمات المفتاحية: المنهج الدعوي، سورة النبأ، الخطاب الدعوي المعاصر، الخطاب القرآني.

Abstract:

This study focuses on the methodology of da'wah through the discourse of *Surat al-Naba*, which is viewed as one of the unique models presented in the Qur'an for building faith and solving the problems facing people at the present time. The main research question that drives the study is the way in which the Quranic discourse deals with the doctrine of resurrection and divine compensation, turning it into a belief which is firmly established with reason and consciousness. This objective is accomplished by using a descriptive-analytical-inferential methodology in studying the discourse of the surah. This study is divided into an introduction, three major parts, a conclusion, and an appendix. The first part discusses the theoretical framework of the study, the second discusses the da'wah strategy in *Surat Al Naba*, and the third discusses its usage in modern Islamic discourse. The findings reveal that *Surat al-Naba* presents an integrated model of da'wah that combines rational proof with emotive scenic portrayal, thereby enhancing the persuasive power and effectiveness of Islamic preaching. Furthermore, the surah's progression from inquiry to evidence and ultimately to conclusion offers an authentic Quranic framework that can be effectively employed in developing contemporary da'wah discourse capable of addressing materialistic and atheistic objections. The study recommends incorporating this Quranic methodology into educational and da'wah programs and emphasizes the importance of further research that applies Quranic preaching methodologies to contemporary intellectual and societal challenges.

Keywords: Da'wah methodology; *Surat al-Naba*; contemporary Islamic discourse.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدي ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على المبعوث بالحق بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم لم يكن مجرد نصوصٍ متلوة، بل هو منهج حياة، ونظام متكامل لصياغة العقل وتزكية الوجدان، وفي قلب هذا المنهج، برزت الدعوة إلى الله بوصفها الغاية الأسمى التي تحركت بها الرسالات السماوية، والتي خُتِمت برسالة سيدنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، لذا فإن القرآن الكريم هو المصدر التأسيسي الأول لهذه الدعوة، حيث تضمّنت سوره المكية -على وجه الخصوص- هندسةً إلهية دقيقة في التعامل مع القلوب والعقول المعتادة على التكذيب، أو الغفلة.

جزء عمّ يُعدُّ من السور المكية التي أسست قواعد العقيدة ومنهجية الخطاب الدعوي، وتحتل سورة النبأ موقعاً مركزياً في هذا البناء؛ فهي نموذجٌ حجاجي فريد، لذا اخترتُها لتكون موضوع دراستي، وجعلتها بعنوان "المنهج الدعوي في سورة النبأ دراسة تطبيقية في الخطاب الدعوي المعاصر" مسلطاً الضوء على المناهج الدعوية وقواعدها التي وظّفتها السورة في خطابها، وأطمح من خلال هذه الصفحات تقديم رؤية منهجية واضحة المعالم، تسهم في رفد المكتبة الإسلامية بدراسة تتسم بالعمق التأصيلي والفاعلية التطبيقية، لتكون عوناً للدعاة والباحثين في فهم كيفية توظيف الآي الحكيم في بناء القنوات وتصحيح المسارات الفكرية، سائلة المولى -عز وجل- أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يفتح علينا بفتوح العارفين، إنه على كل شيء قدير.

أهمية الدراسة:

- تستمد الدراسة أهميتها من كونها محاولةً للربط بين النص القرآني وبين الحاجة الواقعية للخطاب الدعوي المعاصر عبر استقراء الآيات القرآنية، وربط سياقاتها بالمقاصد الدعوية.
- تبرز الحاجة الماسة لاستلهام المنهج الدعوي القرآني وتطبيقه في واقعنا المعاصر، لما يواجهه الدعاة من تحديات فكرية مشابهة، مما يجعل استنطاق النص القرآني ضرورة دعوية لإيجاد لغة حوارية عصرية مقنعة.
- تكتسب سورة النبأ أهمية خاصة لكونها من السور المكية التي واجهت أكبر معضلة في عهد النبوة؛ وهي انكار البعث والجزاء، لذا فإن دراسة منهجها الدعوي تُعتبر استجلاءً لأصول التربية الإيمانية.
- تُثري هذه الدراسة المكتبة الإسلامية برؤية منهجية تحليلية تتجاوز التفسير التقليدي للآيات إلى استنباط منهج الخطاب الدعوي وقواعده الكامنة خلف النص.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- القراءة العابرة للآيات القرآنية دون الانشغال في معانيها، والتعمُّق في خباياها، ومحاولة ربطها بالواقع المعاش، وهنا تبرز الحاجة الماسة إلى استنطاق النص القرآني لاستخراج القواعد الدعوية الكامنة فيه، وإعادة تكييفها لتكون مرجعيةً أصيلة في مواجهة الشبهات الحديثة.
- 2- دقة التوجيه الإلهي الذي اتسمت به سورة النبأ في التعامل مع قضية الشك في البعث والجزاء الأمر الذي جعلها نموذجاً تطبيقياً متكاملاً للخطاب الدعوي المعاصر لمعالجة الشبهات والتحديات التي تواجهه.
- 3- محاولة تقديم مادة علمية ترفع من كفاءة القائمين بالدعوة في كيفية فهم القرآن الكريم كمنهج تفاعلي مُتجدِّد، وليس فقط كنصوص متلوة.

أهداف الدراسة:

- 1- استكشاف وتأسيس المناهج الدعوية التي استخدمتها سورة النبأ في معالجة التساؤلات والشك في القضايا العقدية الغيبية، حتى نقلت المُخاطَب من حالة التساؤل والشك إلى حالة اليقين والمسؤولية.
- 2- بيان كيف وظفت سورة النبأ الحجج العقلية والوجدانية لإقناع العقل وحثّ الوجدان.
- 3- تحديد القواعد والأصول التي اعتمدتها سورة النبأ في بناء العقيدة لدى المخاطب.
- 4- تقديم نموذج تطبيقي للمنهج الدعوي القرآني في الخطاب الدعوي المعاصر من خلال سورة النبأ.

فرضيات الدراسة:

- 1- الفرضية الأولى: يمثل المنهج الدعوي في سورة النبأ نموذجاً مثالياً يمكن استخدامه في صياغة الخطاب الدعوي الموجه للجيل المعاصر المتأثر بالمادة.
- 2- الفرضية الثانية: المنهج الدعوي في سورة النبأ ليس منهجاً وعظياً فحسب، بل هو منهج تفكيري، يهدف إلى تدريب عقل المدعو على التأمل الكوني، الذي يفنّده الخطاب الدعوي المعاصر المعتمد على التلقين.

أسئلة الدراسة:

- 1- تتمحور إشكالية الدراسة الجوهرية لسورة النبأ حول منهجية الخطاب القرآني في معالجة أصل من أصول العقيدة، وتحويله من مفهوم غيبي إلى حقيقة مستقرة في العقل والوجدان، ومنها تتفرع التساؤلات التالية:
1. ما الملامح الكلية للمنهج الدعوي الذي استخدمته سورة النبأ في إثبات الأصول العقدية؟
2. كيف وظفت سورة النبأ الآيات الكونية كدليل استدلائي منطقي في مواجهة المنكرين؟
3. ما القواعد الدعوية التي اشتملت عليها سورة النبأ، والتي يمكن للداعية المعاصر استحضارها في خطابه الدعوي لتعميق المسؤولية الفردية لدى المُخاطَب؟
4. كيف يمكن إسقاط المنهج الدعوي القرآني الذي في سورة النبأ على الخطاب الدعوي المعاصر لمواجهة الشبهات الإلحادية والمادية المعاصرة؟

حدود الدراسة:

سورة النبأ هي موضوع دراستنا لذا ستكون آيات السورة هي محل الدراسة لاستكشاف وتأسيس الجانب العقدي والدعوي فيها من حيث بيان منهجه وقواعده التي ارتكز عليها، وربط ذلك بالخطاب الدعوي المعاصر.

الدراسات السابقة:

- بعد البحث والتقصي حول هذا الموضوع لم أجد -على حد علمي- من تناوله بهذه الكيفية بالبحث والدراسة لكن هناك عدداً من الأبحاث والمقالات التي تحدثت عن سورة النبأ من جوانب أخرى؛ منها:
1. حمد، نهر، علي، المفاهيم العقدية في سورة النبأ وآثارها التربوية (دراسة تحليلية)، إشراف: هاشم إسماعيل إبراهيم باجلاني، مجلة الجامعة العراقية، المجلد (74)، العدد (6)، تشرين الأول 2025م، تكوّن البحث من مقدمة، ومبحثين: الأول: التعريفات الأولية للبحث، والتعريف بسورة النبأ، ومقاصدها، والإعجاز القرآني

- في السورة. الثاني: المفاهيم العقديّة في السورة: تعريف التوحيد، أنواع التوحيد، توحيد الربوبية في السورة، مفهوم توحيد الألوهية في السورة، مفهوم توحيد الأسماء والصفات في السورة.
2. خليفة، خليفة، واللاوي، يوسف عبد، سورة النبأ: من سؤال البعث إلى بعث التساؤل، مجلة الإحياء، مجلة علمية دورية محكمة، جامعة بائنة، الجزائر، المجلد (20)، العدد (26)، سبتمبر 2020م، ص 215-240، تكوّن البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث: التمهيد: بين يدي السورة. والمبحث الأول: تناسبات السورة. المبحث الثاني: جوّ السورة ومحورها. والمبحث الثالث: محاور السورة.
3. العبدلي، أمير فاضل سعد، بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة النبأ (دراسة تطبيقية)، مجلة أنساق، جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم، المجلد الأول، العدد الأول، مايو 2017م، تكوّن البحث من مقدمة وتأسيس المفاهيم، ثم نص الدراسة في خمسة مستويات: الأول: في الصيغة اللغوية المفردة. الثاني: في بنية الحجاج التركيبية. الثالث: في بنية الحجاج الفنية. الرابع: في بنية الحجاج المنطقية. المستوى الخامس: في نظام النص وعلاقاته الكلية.
4. عيسى: سيد، مقالة بعنوان: طرق عرض قضايا العقيدة في سورة النبأ، 2010/3/30م، <https://www.alukah.net>
5. عبد القادر، مها فاروق، جمالية الصورة القرآنية -سورة النبأ أنموذجاً-، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، مجلة الأستاذ، ملحق العدد (48) سنة (1425هـ - 2004م)، تكوّن البحث من كلمة أولى وثلاثة مباحث: كلمة أولى: أسماء السورة ومكيثها وسبب نزولها، المبحث الأول: التفاعل الدلالي، المبحث الثاني: التناغم الصوتي، والمبحث الثالث: المعمار الصوري.
6. د.م، مقاصد سور جزء عم أو النبأ (تدبر سورة النبأ)، <https://tadabbur-alquran.com>، د.ب. الملاحظ أن كل من هذه الدراسات تناولت سورة النبأ من جوانب مختلفة ومتعددة، وأن هذه الدراسة ستطرق جانباً آخر غير ما ذكر، مُستفيدةً من سبق بما يخدم الدراسة إن أمكن، مشيرةً إليه في موضعه من الدراسة.

منهج الدراسة وخطواته الإجرائية:

- لتحقيق أهداف هذه الدراسة والإجابة على تساؤلاتها، اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي الوصفي، أما في الخطوات الإجرائية فقد اتبعت المنهج العلمي المتعارف عليه أكاديمياً، إلا أنه لا بدّ من الإشارة إلى بعض الأمور التي انتهجتها في الدراسة؛ ومن أهمها:
1. عزو الآيات القرآنية إلى سورها مُرقّمة، عدا آيات سورة النبأ فسأكتفي بذكر آياتها دون عزوها إلى السورة؛ لكثرة الاستشهاد بها كونها موضوع الدراسة.
 2. التنوع في المراجع التفسيرية بما يخدم طبيعة البحث؛ ما بين تفسير بالمأثور لبيان المعنى، وتفسير بالرأي أصيلة وحديثة لبيان جوانب المنهج الدعوي وقواعده في السورة.

3. توثيق المعلومات من مصادرها الأصلية، فإن لم أجد فمن مظانها، مكتفياً بإيراد لقب المؤلف ثم المصدر ثم رقم الجزء والصفحة، والاقتصار على ذكر بيانات المصدر كاملة في قائمة المصادر والمراجع.
4. هناك رموز ومصطلحات ذكرتها في ثنايا الدراسة؛ وهي:
- هـ: هجري
م: ميلادي
- ص: صفحة
* للدلالة على نهاية الآية وبداية آية أخرى
- ﴿﴾ لتمييز الآيات القرآنية
« » لتنصيب الأحاديث النبوية والآثار المروية
- ت: تاريخ الوفاة
د. ب: لا توجد بيانات أخرى غير ما ذكر.
- د. ت: بدون تاريخ الطبعة.
د. ط: بدون طبعة.
- د. م: بدون اسم المؤلف.
د. ط. ت: بدون طبعة وبدون تاريخ
5. قدمت الدراسة بملخص، وأنهيتها بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات، متبوعاً بالملحق، ثم قائمة المصادر والمراجع.

هيكل الدراسة:

- اقتضت خطة الدراسة أن تشتمل على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وملحق؛ وذلك كما يلي:
- المقدمة: أشرت فيها إلى أهمية الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة، وفرضياتها، وأسئلتها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة والخطوات الإجرائية، وهيكلها.
- المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة؛ وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: التعريف بالمنهج الدعوي.
- المطلب الثاني: خصائص المنهج الدعوي القرآني.
- المطلب الثالث: بين يدي سورة النبأ.
- المبحث الثاني: المنهج الدعوي في سورة النبأ؛ وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: المنهج الحوارية الدعوي في سورة النبأ.
- المطلب الثاني: المنهج العقلي الاستدلالي الدعوي في سورة النبأ.
- المطلب الثالث: المنهج الوجداني الفطري الدعوي في سورة النبأ.
- المبحث الثالث: تطبيق المنهج الدعوي في سورة النبأ في الخطاب الدعوي المعاصر؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: قواعد المنهج الدعوي القرآني المستنبطة من سورة النبأ.
- المطلب الثاني: نموذج تطبيقي للمنهج الدعوي في سورة النبأ في الخطاب الدعوي المعاصر.
- الخاتمة: تضمنت النتائج، وأهم التوصيات والمقترحات.
- الملحق.
- قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

قبل الدخول في موضوع الدراسة لا بُدَّ من التعريف بأهم مصطلحاتها؛ لَيْسَهُلَّ على القارئ فهم الموضوع، كما أنه من البدهي قبل التكلُّم عن شيء التعريف به، وفي هذا المبحث سنتحدث عن تعريف المنهج الدعوي، وأهم خصائص المنهج الدعوي القرآني، ثم التقديم لسورة النبأ؛ وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: التعريف بالمنهج الدعوي:

يُعَدُّ المنهج الدعوي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها مهمة التبليغ، وهو مصطلح مركَّب من كلمتين، الأولى المنهج، والثانية الدعوي، ولتأصيله لا بد من تفكيك المصطلح، والتعريف بكلٍ منهما على حِدَةٍ، وذلك كما يلي:

المسألة الأولى: التعريف بالمنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج في اللغة: لفظٌ مشتقٌّ من الفعل نَهَجَ؛ وهو الطريق الواضح، يقال: طريقٌ نَهَجٌ أي: بيِّنٌ وَاضِحٌ. وأنهج الطريق: أي استبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً، ونهجت الطريق إذا سلكته، ويُقال: فلان يستنهج سبيل فلان: أي يسلك مسلكه⁽¹⁾، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾⁽²⁾، أي: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً بيّناً إلى الحق يؤمُّه، وسبيلاً واضحاً يعمل به⁽³⁾.

وفي الاصطلاح تعددت التعريفات للمنهج وتنوعت؛ ولعلَّ أبرزها: أنه الطرق والمُحَدِّدات المنهجية التي تستعمل لإنتاج معرفي مُوحَّد، لا يتغيَّر ذلك الناتج مهما تغيَّر الزمان والمكان، أو الإنسان الذي يستخدم ذلك المنهج⁽⁴⁾، أو أنه فنُّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمَّا من أجل الكشف عن حقيقة ما حين نكون بها جاهلين، وإمَّا من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين⁽⁵⁾.

المسألة الثانية: التعريف بالدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة في اللغة: لفظٌ مشتقٌّ من الفعل دعا، ودعا إلى الشيء: رَغَّبَ فيه وقَرَّبَ إليه، والداعي: مَنْ دعا إلى توحيد الله تعالى وما يُقَرَّبُ منه، والدعوة: من الدعاء إلى الشيء والحثِّ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾⁽⁶⁾، ومنهم من جعلها عامة في كل مَنْ يدعو إلى دين أو فكرة، والداعية: مَنْ يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأُدْخِلَتِ الهاء فيه للمبالغة⁽⁷⁾.

أما في اصطلاح الدعوة: فتعني تبليغ دين الله للناس، وتعريفهم به، ودعوتهم إلى الالتزام بأحكامه، وتحقيق التوحيد لله تعالى⁽⁸⁾.

(1) يُنْظَر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 1/ 346، وابن منظور، لسان العرب، 383/2.

(2) سورة المائدة: آية 48.

(3) يُنْظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 118.

(4) يُنْظَر: العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية، ص 92.

(5) يُنْظَر: خضر، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، ص 18.

(6) سورة يونس: آية 25.

(7) يُنْظَر: الأزهرى، تهذيب اللغة، 3/ 122، وابن منظور، لسان العرب، (14/ 259)، والعاملي، معجم متن اللغة، (2/ 194)، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/ 749.

(8) يُنْظَر: زيدان، أصول الدعوة، ص 5.

وبناء على ما سبق فإن **المنهج الدعوي القرآني**: هو الأسلوب الذي يسلكه الداعية إلى الله تعالى أثناء قيامه بوعظ الناس وتذكيرهم بواجبهم تجاه الله تعالى مُتَّبِعاً في ذلك مجموعة من القواعد والأساليب التي وضعها وبَيَّنَّها القرآن الكريم، فيسير على ضوئها لتحقيق الغاية المنشودة من دعوته للناس؛ وهي إخراجهم من ظلمات الجهل والضلال، وهدايتهم إلى الحق والحقيقة علماً وعملاً.

المطلب الثاني: خصائص المنهج الدعوي القرآني:

يتميز المنهج القرآني بخصائص جوهرية تمنحه القوة والخلود، كيف لا وهو منهج رباني وضعه الخالق العليم بعباده، والعالم بما يصلحهم وما يصلح لهم، ومن أهم هذه الخصائص:

أولاً: الحق والمصادقية: فاعتماد الحقائق والتزام المصادقية من أبرز ما يتميز به المنهج الدعوي في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَمُ﴾⁽¹⁾، وفي موضع آخر: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁽²⁾، وهو سبيل الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽³⁾، لذا كان التزاماً على الداعين إلى الله تعالى الالتزام بمنهج الحق والحقيقة، ليتكوّن لدى الجمهور الرأي السديد والفهم القويم للأمر التي تحيط بهم⁽⁴⁾.

ثانياً: الشمول والتوازن: فالمنهج القرآني لا يُرَكِّز على جانب دون آخر؛ بل يُخَاطِبُ الروح والبدن، ويُوازِن بين الترهيب الذي يهدف لضبط النفس من الانحراف والترغيب الذي يهدف لتحفيزها على الخير، وبين العقل الذي هو أداة الفهم والاستدلال والوجدان الذي هو أداة التأمل والإحساس⁽⁵⁾.

ثانياً: مخاطبة العقل والفطرة الإنسانية معاً: ذلك أن المنهج الدعوي القرآني لا يصادم الفطرة السوية، بل يستثيرها؛ فهو يعتمد على منطق التذكير، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّ نَعْفَتِ الذِّكْرَى﴾⁽⁶⁾، فالدعوة في القرآن هي إعادة الإنسان إلى أصله السليم⁽⁷⁾.

ثالثاً: التدرُّج في عرض العقيدة: فما كان الناس ليسهل قيادهم طفرة للدين الجديد لولا أن القرآن عالجهم بحكمة، ووضع لهم أصول التشريع حسب المقتضيات، ويظهر ذلك جلياً في المنهج الدعوي القرآني، خاصة في السور المكية، فقد بدأ بترسيخ أصول العقيدة كالتوحيد، والبعث والجزاء، قبل التكليف بالأحكام الشرعية التفصيلية⁽⁸⁾، مما يضمن رسوخ الإيمان في قلب المدعو وثباته.

رابعاً: الوضوح والمباشرة: فالمنهج الدعوي القرآني واضح وجلي، بعيد عن التعقيد الفلسفي، أو التكلف اللفظي، فهو يستخدم لغة تُخَاطَبُ عامّة الناس، وتصل إلى خاصّتهم في آن واحد، مما يجعل الدعوة عالمية ومتاحة

(1) سورة ص: آية 84.

(2) سورة الأحزاب: آية 4.

(3) سورة العصر: آيتي 2-3.

(4) يُنظر: رفاعي، صور الإعلام الاسلامي في القرآن الكريم، ص 61، وآلاء، أحمد هشام، وعَمَّار، مصباح، الإعلام مقوماته وضوابطه وأساليبه في القرآن، ص 45.

(5) نوفل، أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، ص 127، والدميري، مقال بعنوان: خصائص منهج الدعوة، 2017/3/28م،

<https://www.alukah.net>

(6) سورة الأعلى: آية 9.

(7) يُنظر: د.م، أصول الدعوة وطرقها، ص 235.

(8) يُنظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 111.

للجميع، ليس فيه لبس يُحير العقول، ولا أمور غامضة يقف القلب حيالها تائهاً حيراناً، فأياته بيّنات ودلائله واضحات، تدركه العقول لأوّل لحظة، وتطمئنّ له القلوب، بمجرد سماع آياته أو التّعريف على أحكامه⁽¹⁾.

خامساً: اعتماد البرهان والدليل العقلي: وهذه من أهم مميزات المنهج الدعوي القرآني؛ فهو يعتمد في دعوته على إقامة الدليل وإظهار الحجّة والبرهان لإقناع الناس بالمبادئ والمفاهيم التي جاء بها الإسلام، ومن تتبع آيات القرآن وجد من ذلك الكثير من الدعوة لإعمال العقول، واستخدام البراهين والأدلة المبنوثة حولنا في الكون⁽²⁾.

المطلب الثالث: بين يديّ سورة النبأ:

سورة النبأ هي السورة التي ستكون موضوع الدراسة في المباحث اللاحقة، لذا لزم التقديم لها بما يناسبها مما هو مذكور في كتب التفسير وعلوم القرآن؛ من حيث اسمها، ومكان نزولها، ومناسبتها لما حولها، وآياتها، والمواضيع التي تضمنتها، وذلك على النحو التالي:

المسألة الأولى: اسم السورة، ومكان نزولها، وعدد آياتها، ومناسبتها:

سورة النبأ من السور التي لها أكثر من اسم، مما يدل على عظمها وأهميتها، ومن أشهر أسمائها: النبأ؛ عمّ؛ عمّ يتساءلون، التساؤل، والمعصرات⁽³⁾، وهي من السور المكية، وعدد آياتها أربعون آية، وهناك من قال: إحدى وأربعون آية⁽⁴⁾. والذي يُفهم من بعض الآثار أنها من السور التي نزلت في أول بعثة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، ومنها قول ابن عباس -رضي الله عنه: «كانت قريش تجلس لما نزل القرآن، فتحدث فيما بينهم، فمنهم المصدّق، ومنهم المكذّب به، فنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾»⁽⁵⁾.

أما مناسبة السورة لما قبلها، فإن بداية سورة النبأ جاء مناسبةً لنهاية سورة المرسلات؛ فقد خُتمت سورة المرسلات بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁶⁾، ثم جاءت سورة النبأ بعدها تُبيّن ما هو هذا الحديث الذي اختلفوا فيه، كما أن التناسب بين السورتين من حيث الموضوع والتناسق واضح، فكلاهما تحدثتا عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة الله عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به، كما أن كلاهما جاء فيهما وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين، ووصف يوم القيامة وأهواله⁽⁷⁾.

كما أن خاتمة سورة النبأ جاءت مناسبة لما بعدها؛ فإن سورة النازعات نزلت عقب سورة النبأ، وأولها يشبه أن يكون قسماً لتحقيق ما في آخر سورة النبأ، التي خُتمت بتمني الكافر الشديد أن يُفلت من العذاب عندما نظر إلى ما قدمت يده، ومعاينته العذاب العظيم، لدرجة تمنيه أن يصير يومها تراباً، ثم جاءت سورة النازعات في مطلعها لتُبيّن شدة نزع روح هذا الكافر المكذّب بالبعث وقت الموت؛ فقال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾⁽⁸⁾، وأتبع ذلك ما قد كان حاله

(1) يُنظر: دم، أصول الدعوة وطرقها 2، ص9.

(2) يُنظر: رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، ص65.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 189/21، والألوسي، روح المعاني، 201/15، والزحيلي، التفسير المنير، 367/30.

(4) يُنظر: الألوسي: روح المعاني، 201/15.

(5) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 5/22، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 92/20.

(6) سورة المرسلات: آية 50.

(7) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 190/21، والألوسي: روح المعاني، 201/15، والزحيلي، التفسير المنير، 367/30.

(8) سورة النازعات: آية 1.

عليه في دنياه من استبعاد عودته في أخراه، وذكر قرب ذلك عليه⁽¹⁾، كما أن التناسب بين السورتين من حيث الموضوع والتناسق واضح، فكلاهما تحدثتا عن إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه مستدلاً على ذلك بخلق العوالم وتدبير نظامه، وبما في خلق السماوات والأرض من منح ودلائل على عظيم قدرته تعالى، وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الوهل، وأنها يوشك أن تحل فيعلمونها عياناً⁽²⁾.

المسألة الثانية: آيات السورة وموضوعها:

آيات سورة النبأ:

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا * إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابًا * لَا بُدَّ لَهَا أَهْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

أما موضوعات سورة النبأ فهي -كما نلاحظ من الآيات- تتناول موضوعاً أساسياً؛ وهو إثبات عقيدة البعث والجزاء الأخروي⁽³⁾، وتخلل ذلك عدة مواضيع فرعية؛ أهمها:

الموضوع الأول: تساؤلات المشركين عن النبأ العظيم، وتأكيده وقوعه؛ (الآيات 1-5).

الموضوع الثاني: إقامة البراهين الدالة على قدرة الله تعالى، وحقيقة البعث؛ (الآيات 6-20).

الموضوع الثالث: وصف أحوال الطاغين والمتقين يوم القيامة، وما أعدَّ الله لهم؛ (الآيات 21-36).

الموضوع الرابع: تقرير المسؤولية الفردية في تحديد المصير يوم القيامة؛ (الآيات 37-40)⁽⁴⁾.

وفي المبحث التالي ستكون دراستنا لبيان المنهج الذي سلكته هذه الآيات في إثبات البعث والجزاء، سعياً في إخراج الآيات من التفسير التقليدي والجمود الفكري إلى خطوات منهجية عملية تطبيقية يستفيد منها دعاة العصر كمنهج دعوي إقناعي، يواجهون به التحديات والشبهات الدينية المعاصرة.

(1) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 217/21، والألوسي: روح المعاني، 223/15.

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 59/30.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 189/21.

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، 368/30.

المبحث الثاني: المنهج الدعوي في سورة النبأ

يتسم القرآن الكريم بكونه كتاب هداية وإقناع، فهو لا يقتصر على عرض الحقائق العقائدية عرضاً مجرداً، بل يصوغها في سياقات استفهامية، وحوارية، وحجاجية تتفاعل مع عقل الإنسان وقلبه ووجدانه في آن واحد، وسورة النبأ عرضت مواضيع أصولية مهمة، استخدمت خلالها مناهج خطابية متقنة، تستهدف تغيير مواقف السامعين وإقناعهم حقاً وعملاً، وبالنظر إلى هذه المناهج يمكن القول أنها ثلاثة مناهج: حوارية، وعقلية استدلالية، ووجدانية فطرية، وكلٌ منها متداخلة مع الأخرى، وإننا إذ نفصل بينها في الدراسة فلغرض التسهيل والتبسيط، وعليه فإن هذا المبحث سيكون في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: المنهج الحوارية الدعوي في سورة النبأ:

تُعَدُّ سورة النبأ أنموذجاً فريداً في المنهج الحوارية الدعوي القرآني، حيث انتقلت بالمدعو من مرحلة التشكيك إلى مرحلة اليقين عبر مسارات منهجية محددة، ويظهر في آيات السورة حضور واضح لأساليب الحوار؛ وهذه الأساليب تعمل مجتمعة لبناء عقيدة ذات جذور عقلية، ووجدانية، وسلوكية، وقبل أن نقوم بهذه الدراسة لابد من التعريف بالمنهج الحوارية، وعليه فإن هذا المطلب سيكون على النحو التالي:

المسألة الأولى: مفهوم المنهج الحوارية:

المنهج الحوارية مصطلح مركب من كلمتين، الأولى: المنهج وقد سبق التعريف به⁽¹⁾، والثانية: الحوار: والتي تعني في كتب اللغة: المجاورة ومبادلة الحديث، والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾⁽²⁾⁽³⁾، وهذا المعنى عام يدخل فيه كل حوار، سواء كان منبعثاً عن اختلاف بين المتحاورين، أو عن غير اختلاف.

وفي الاصطلاح: هو أسلوب مبني على تبادل الكلام بغرض الوصول إلى الحق، أو تقريب وجهات النظر، أو تحويل موقف المستمع من الشك، أو الرفض إلى القبول والالتزام، حيث يجري عادةً بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطق وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقديرها من وجهة نظره⁽⁴⁾، ويقابله الجدال المُضَمَّن حواراً على سبيل المغالبة والمنازعة لإلزام الخصم⁽⁵⁾.

وعليه فإن المنهج الحوارية: هو المنهج القائم على الحوار والمناظرة والمخاصمة والمغالبة، ويكون غالباً بين طرفين، أو أكثر بهدف إقناع أحدهما الآخر بفكرة أو معتقد ما.

(1) يُنظر: ص8 من هذه الدراسة.

(2) سورة الكهف: آية 37.

(3) يُنظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 578/1.

(4) يُنظر: البيهقي، الحوار الذات ... والآخر، ص40، كتاب الأمة العدد99، محرم 1425هـ.

(5) يُنظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص309.

ويمتاز المنهج الحواري في القرآن الكريم بأنه حوارٌ توجيهي؛ يهدف إلى هداية تربوية وأخلاقية بالإضافة إلى إقناع معرفي، يتضمن ضوابط أدبية؛ مثل: اللين، الحجاج بالمثال، وتدرج الدعوة⁽¹⁾.

المسألة الثانية: المنهج الحواري الدعوي في سورة النبأ:

لا أبالغ إن قلت: إن سورة النبأ كلها حوار من أولها إلى آخرها، ويظهر ذلك جلياً أثناء قراءة السورة، فهي تصور مشهداً حوارياً بين الله تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم - تارة، وبينه وبين المشركين تارة أخرى، وهذا الحوار مبني على المخاطبة أحياناً، وعلى الغيبة أحياناً أخرى، وقد افتتحت السورة بالسؤال الاستكاري التشويقي النابي عن التكذيب والتشكيك لأمر لا يقبل التكذيب لثبوته، والذي انتهى بالتهديد والوعيد حين يرون حقيقة ما كذبوا به وشككوا فيه بوقوعه فعلاً⁽²⁾، وقد أخذ هذا المشهد الخمس الآيات الأولى من السورة، الحوار كان بين الله تعالى وبين نبيه صلى الله عليه وآله وسلم -، السائل فيه والمجيب هو الله تعالى، وذلك يدل على علمه بالغيب، والأسلوب قوي في ذاته لجذب الانتباه، وكسر حدة النقاش والجدل الذي هم فيه، وفي الوقت نفسه يكسر جمود المتلقي، ويقتل الملل الذي يحيط به، وينقله من مجرد مستمع إلى مشارك بحسه وذنه بحثاً عن جواب لهذا السؤال⁽³⁾.

ثم تصوّر لنا الآيات مشهداً آخرًا من مشاهد الحوار، لكنه هذه المرة بين الله تعالى والمشركين، حيث انتقل النص من التساؤل عن النبأ إلى الحجة الدامغة، مستخدماً معهم التدرج بالنظر إلى المظاهر الكونية المشاهدة في حياتهم اليومية، لينقلهم إلى الأمور الغيبية التي ينكرونها ويشكّون في حقيقتها، والحوار في هذا المشهد كان خطابياً مباشراً، يدل على ذلك السياق وورود بعض الألفاظ الخطابية؛ مثل: خَلَقْنَاكُمْ، نَوْمَكُمْ، فَوْقَكُمْ، فَتَأْتُونَ، فهذه الألفاظ جاءت مقترنة بكاف الخطاب، أو تاء الخطاب.

ولو أعدنا النظر إلى الآيات القرآنية نفسها لوجدنا أنها اعتمدت على الاستعارة الكلية لتجسيد المفاهيم التجريدية، مما يجعل الحوار أكثر إقناعاً للعقل البشري، حيث شبّهت الأرض كالمهاد الذي يفرشه النائم⁽⁴⁾، مما يجعل فكرة الاستقرار واضحة حسياً، لتقابلها فيما بعد بفكرة البعث التي يراها المشركون مستحيلة، وشبّهت الجبال بالأوتاد التي تُثَبَّتْ غيرها، فهي مغروسة في باطن القشرة الأرضية لتحفظ توازن الأرض، مما يُعَزِّزُ حُجَّةَ النظام الدقيق الذي لا يمكن أن يكون عبثاً⁽⁵⁾.

وفي هذا المشهد تحوّل الحوار من الخطاب التشكيكي إلى الخطاب البرهاني؛ وهذا يُمَيِّلُ ذروة الحوار العقلي، حيث لا يملك الطرف الثاني إلا التسليم بالقدرة المطلقة بناءً على الواقع المشاهد.

وما زال الحوار مستمراً بين الله تعالى والمشركين، حيث يرسم لنا مشهداً تصويرياً حركياً من مشاهد مآلهم يوم القيامة؛ وما أعدّ الله تعالى لهم فيها من عذاب؛ لكن الحوار هنا انتقل من الخطابية إلى الغيبية، ويظهر ذلك جلياً

(1) يُنظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص310، وأبو هاشم، مقالة بعنوان: خصائص الحوار في القرآن الكريم، 18/يوليو/2023م، <https://mawoo3.com>

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 7/30، والزحيلي، التفسير المنير، 370/30.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 192/21.

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، 370/30.

(5) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، 370/30، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 574/3.

من السياق؛ ومن الألفاظ التي نقلت الحوار من الخطابية إلى الغيبية لفظة "لِلطَّاعِينَ" ولم يقل: لكم، فهي عامة لهم ولمن كان على أشكالهم، فجمعتهم لفظة الطاعين، ومن الألفاظ الدالة على الغيبية -أيضاً: يَدُوقُونَ، إِنَّهُمْ، كَانُوا، يَرْجُونَ، كَذَّبُوا، إلا أننا نجد الآية الأخيرة من المشهد انتقلت من الغيبية إلى الخطابية المباشرة؛ فقال تعالى: ﴿فَدُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، وهذا التفات له أثر عظيم على نفوس المشركين، حيث بدا المشهد من أوله إلى آخره وكأن المقصود بالعذاب قوم آخرون، لتأتي المفاجأة في آخر لحظة أنهم هم المقصودون⁽¹⁾، مع دخول كل من كان على شاكلتهم في الخطاب.

وما زالت الآيات ترسم لنا مشهداً تصويرياً حركياً آخر، مشابهاً للمشهد السابق، لكنه هذه المرة في مآلات المتقين وما أعدَّ الله تعالى لهم من نعم، لتكتمل الصورة لدينا، لكن الحوار هنا كأنه يعرض حقيقة عامة؛ فكانت الغيبية هي طابعه كما هو واضح من السياق ومن قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾، ليختتم المشهد بالتفاتة عظيمة نابية عن كرامة المتقين وإكرامهم، حيث تحوّل الحوار من العمومية إلى المخاطبة الفردية، وذلك في قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾، فكاف المخاطبة في لفظة ﴿رَبِّكَ﴾، موجّهة للرسول -صلى الله عليه وآله وسلم⁽²⁾. ثم يختتم الحوار دوره في الجزء الأخير من السورة بمشهد تصويري مهيب، يغلب عليه طابع الغيبية والعمومية، حيث يُصوّر فيه بعض أحوال يوم القيامة، فهي عامّة لكل الخلق؛ مؤمنهم وكافرهم، لتأتي الآية الأخيرة بالتفاتة من الغيبية إلى الخطابية مع الاحتفاظ بالعمومية، كما هو واضح من السياق ومن لفظة "أَنْذَرْنَاكُمْ"، ليتبعها بمشهد عظيم ومخيف؛ وهو حين يقف الكافر ليتحاور مع ذاته ندماً وحسرة على ما قدمت يداها، حتى أنه ليقول يومها: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، وهنا يكتمل المنهج الحوارية وينتهي بنهاية السورة.

وهكذا نخلص إلى أن المنهج الحوارية في سورة النبأ ليس مجرد سرد لمواقف، بل هو بناء حجاجي متماسك يبدأ بإثارة التساؤل، ويمر عبر استعراض البراهين الحسية، وينتهي بمواجهة الحقيقة النهائية. لقد استطاع النص القرآني تحويل قضية البعث من فرضية جدلية إلى حقيقة كونية لا تقبل التأويل، مما يجعل من هذه السورة مدرسة في فن الإقناع القرآني.

المطلب الثاني: المنهج العقلي الاستدلالي الدعوي في سورة النبأ:

لقد أعطى الله - عزَّ وجلَّ - للذهن البشري الفسحة في إجابة الفكر وإعمال الذهن، لا سيما في الأمور العقديّة، فأسلوب الإقناع من خلال الجدل المنطقي والحجّة والبرهان هو المنهج القرآني المتّبع للوصول إلى الحقيقة، وإعمال العقل والاستدلال هما موضوع حديثنا في هذا المطلب، وقبل الكلام عنهما لا بدّ من التعريف بهما، وعليه فإن هذا المطلب سيكون في مسألتين؛ وذلك على النحو التالي:

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 41/30، والزحيلي، التفسير المنير، 379/30، وقطب، في ظلال القرآن، 3808/30/6.

(2) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 211/21.

المسألة الأولى: التعريف بالمنهج العقلي الاستدلالي:

المنهج العقلي الاستدلالي مصطلح مركب من ثلاث كلمات، الأولى المنهج وقد سبق التعريف به⁽¹⁾، والثانية العقلي، والثالثة الاستدلالي، وعليه فإن الكلام هنا سيكون حول التعريف بالعقل والاستدلال، ثم نتعرض للكلام عن المنهج العقلي الاستدلالي كمفهوم كلي، وذلك على النحو التالي:

أولاً: العقل: في أصل اللغة له معانٍ مختلفة؛ يمكن اختصارها في ثلاثة موارد؛ هي: المنع، والجمع، والحبس والإمساك. وكلها يجمعها معنى المنع، سوى مفردة الجمع، وبالتأمل فهي تعود أيضاً إلى المنع؛ يُقال: عَقَلْتُ البَعِيرَ؛ إِذَا جَمَعْتُ قَوَائِمَهُ؛ أي: منعت قوائمه ولا يستطيع الحركة، ولعل وجه التسمية بالمنع هي كونه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، ويحبسه عن زيم القول والفعل⁽²⁾، فالعقل يُمسك ما عِلِمَهُ، وَيَضْبِطُ ما فَهَمَهُ.

واختلف العلماء في تعريف العقل اصطلاحاً، وذهبوا في ذلك إلى أقوالٍ متعددة؛ فهناك من يصف: بأنه غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات⁽³⁾.

وهناك من يفسر: بأنه القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للذي يستنبطه الإنسان بتلك القوة عقل⁽⁴⁾.

وهناك من يذهب إلى أنه أداة الإدراك والفهم، والنظر والتلقي والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة⁽⁵⁾.

فالعقل: ملكة وقوة مودعة في النفس لإدراك حقائق الأشياء، وتمييزها، وفهمها بشكلٍ صحيح.

ثانياً: الاستدلال: يعني: طلب الدليل، والدليل في كتب اللغة: ما يُستدلُّ به، وهو مشتق من الفعل دلَّ، والدليل: المرشد إلى المطلوب، والاستدلال: طلب الدليل، أو إقامة الحجة للوصول إلى النتيجة⁽⁶⁾.

وفي الاصطلاح: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري إما أن يكون عقلياً ظاهراً، أو سمعياً ظاهراً، فالدليل العقلي الظاهر: الذي يُعَلَمُ به كل المراد، وأن الظاهر غير مراد، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾⁽⁷⁾، يعلم المستمع أن الخالق لا يدخل في هذا العموم. والأدلة السمعية: الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر، فإذا وجد الدليل جاز صرف اللفظ عن ظاهره⁽⁸⁾.

وعليه فالمنهج العقلي الاستدلالي القرآني: هو أسلوب برهاني استعمله القرآن الكريم لإيصال سلسلة من الأفكار والمعتقدات المبنية على عرض الأدلة والآيات الكونية والتاريخية، والقياسات العقلية، بأسلوب يحث العقل على البحث والتفكير والتأمل للوصول إلى حكم يقيني باعتبار الأدلة والبراهين المقدمة له، بحيث يتوصل بصحيح النظر فيها إلى مطلوب خبري سعياً في إثبات العقائد الصحيحة وثباتها.

(1) يُنظر: ص8 من هذه الدراسة.

(2) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 69/4، وابن منظور، لسان العرب، 458/11.

(3) يُنظر: الطوسي، كشف المراد، ص213.

(4) يُنظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، 85/1.

(5) يُنظر: أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص131.

(6) يُنظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 1698/4.

(7) سورة الزمر: آية 62.

(8) يُنظر: الفناري، فصول البدائع في أصول الشرائع، 29/1.

المسألة الثانية: المنهج العقلي الاستدلالي الدعوي في سورة النبأ:

تُعَدُّ سورة النبأ أحد أبرز النصوص القرآنية التي أسست المنهج العقلي الاستدلالي في مواجهة الإنكار العقدي، فمن خلالها ردَّ الله تعالى على منكري البعث، وأثبت قدرته على البعث بالإتيان بما هو مشاهد معين لهم، فجمع فيها ما يُستدلُّ به على الوحدانية، وإمكان إعادة الأجساد للبعث بعد البلى بأنها لا تبلغ مبلغ إيجاد المخلوقات العظيمة⁽¹⁾، وتمثل الآيات (6-20) من السورة جوهر هذا الاستدلال، حيث ذكر الله تعالى فيها من عجائب مخلوقاته أموراً تسعة، افتتحها بالاستفهام التقرير، وعطف عليها البقية، فلا يسعهم إلا الإقرار والتسليم⁽²⁾:

أولها: جعل الأرض كالمهد للصبي، ممهدة للخلائق، ذلولاً لهم، قارة ساكنة ثابتة⁽³⁾، وهو استدلال يتضمَّن امتناناً فيه إشعار بحكمة الله تعالى؛ إذ جعل الأرض ملائمة للمخلوقات التي عليها، والذي صنع هذا لا يعجزه أن يخلق الأجسام مرة ثانية بعد بلاها، ولكون الجملة في موقع الدليل لم تعطف على ما قبلها، والكلام موجه إلى منكري البعث، وحاصل الاستدلال بالخلق الأول لمخلوقات عظيمة أنه يدل على إمكان الخلق الثاني لمخلوقات هي دون المخلوقات الأولى، وبدأ بذكر الأرض أولاً لأن منها خَلَقْنَا، وفيها يُعِيدُنَا، ومنها يُخْرِجُنَا مرة أخرى، فكانت الأرض أسبق شيء إلى ذهن السامع في أمر بعث أهل القبور⁽⁴⁾.

ثانيها: جعل الجبال للأرض كالأوتاد التي تشدُّ بها حبال الخيام، لِتَسْكُنَ وَتَثْبُتَ، ولا تميل بأهلها⁽⁵⁾.

ثالثها: خلق الناس أصنافاً: ذكوراً وإناثاً، وأضداداً متقابلين؛ حُسناً وقُبْحاً، وطُوباً وقُصْراً، ليكتمل الكون، ويزهو بالجمال والأنس، ويتيسر التعاون، ويستمر بقاء النوع الإنساني، وقد أعقب الاستدلال بخلق الأرض وجبالها بالاستدلال بخلق الناس للجمع بين إثبات التفرد بالخلق وبين الدلالة على إمكان إعادتهم، والدليل في خلق الناس على الإبداع العظيم الذي الخلق الثاني من نوعه أمكن في نفوس المُسْتَدَلِّ عليهم، وللمناسبة التي قدمنا ذكرها في توجيه الابتداء بخلق الأرض في الاستدلال فهي أن من الأرض يخرج الناس للبعث؛ فكَذَلِكَ أَتَّبَعَ بخلق الناس الأول لأنهم الذين سيعاد خلقهم يوم البعث، وهم الذين يخرجون من الأرض، وفي هذه الآية إيماء إلى ما في ذلك الخلق من حكمة إيجاد قوة التناسل من اقتران الذكر بالأنثى، وهو مناط الإيماء إلى الاستدلال على إمكان إعادة الأجساد، فإن القادر على إيجاد هذا التكوين العجيب ابتداء بقوة التناسل؛ قادر على إيجاد مثله بمثل تلك الدقة أو أدق⁽⁶⁾.

رابعها: جعل النوم راحة للأبدان، وقطعاً للحركة والأعمال التي يكابد بها الإنسان طوال النهار، فتتجدد قواه، ويستعيد نشاطه⁽⁷⁾، وهنا انتقلت الآيات إلى الاستدلال بأحوال الخلق، وخصَّ منها حالة النوم، التي هي أقوى أحوالهم المعروفة شبهاً بالموت الذي يعقبه البعث؛ وهي حالة متكررة لا يخلون من الشعور بما فيها من العبرة، لأن تدبير نظام النوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه حال بحال الموت وما يعقبه من البعث⁽⁸⁾.

(1) يُنْظَر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/30، والزحيلي، التفسير المنير، 375/30.

(2) يُنْظَر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 313.

(3) يُنْظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 307/8، والزحيلي، التفسير المنير، 375/30.

(4) يُنْظَر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14/30.

(5) يُنْظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 307/8، والزحيلي، التفسير المنير، 375/30.

(6) يُنْظَر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/30.

(7) يُنْظَر: الزحيلي، التفسير المنير، 375/30، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 305/5.

(8) يُنْظَر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/30.

خامسها: جعل الليل بظلمته كاللباس ساتراً وسكناً للناس، فظلمة الليل تستر الإنسان عن العيوب إذا أراد هرباً من عدو، أو بياتاً له، أو إخفاء ما لا يحب الإنسان اطلاع غيره عليه، وكما أن الإنسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته، ويندفع عنه أذى الحرّ والبرد، فكذا لباس الليل، بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الإنسان، وفي طراوة أعضائه، وفي تكامل قواه الحسية والحركية، ويندفع عنه أذى التعب الجسماني، وأذى الوسواس والأفكار الموحشة، وفيه دليل على أن إعادة الأجسام بعد الفناء غير متعذرة عليه تعالى، إذ تذكر الليل سريع الخاطر بالأذهان عند ذكر النوم على حسب أفهام السامعين⁽¹⁾.

سادسها: جعل النهار وقت معاش، يتردد فيه الناس لطلب معاشهم، وكل ما يعاش به من المطعم والمشرب ونحوه، وقد أشعر ذكر النهار بعد ذكر كل من النوم والليل بملاحظة أن النهار ابتداء وقت اليقظة التي هي ضد النوم، فصارت مقابلهما بالنهار، وفيه عبرة بدقة الصانع وإحكامه وتدبيره، إذ جعل نظامين مختلفين منشؤهما سطوع نور الشمس واحتجابه فوق الأرض، وهما نعمتان مختلفان في الأسباب والآثار، فنعمة الليل راجعة إلى الراحة والهدوء، ونعمة النهار راجعة إلى العمل والسعي⁽²⁾.

سابعها: بنى سبع سموات محكمات في اتساعها، وارتفاعها، وإحكامها، وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات، وثيقة البنیان، وذكرها هنا لإثبات وحدانيته في العبادة، ونبذ ما سواه، إذ هم مُقَرَّون بربوبيته تعالى، وكذلك إثبات قدرته على ما هو أسهل من ذلك؛ وهو البعث⁽³⁾.

ثامنها: جعل الشمس كالسراج مُنيراً مُضيئاً وقادراً مُتَلَألئاً، وناسب بعد ذكر السماوات أن يذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضاءها؛ وهو الشمس، ولما ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على تلك الصفة⁽⁴⁾.

تاسعها: أنزل الأمطار من السحب المُحمَّلة بالماء، فيحدث منها الغيث الذي يحيي الأرض بعد جدها، وينعش النفوس والأجسام بعد عنائها وتكدُّرها؛ فتنبت الأرض به سنابل حبٍ وشجراً وكلاً، وتلك كلها فيها حياة قريبة من حياة الإنسان والحيوان؛ وهي حياة النماء؛ فيكون ذلك دليلاً للناس على تصوُّر حالة البعث بعد الموت بدليل من التقريب الدال على إمكانه، حتى تضمحل من نفوس المكابرين شبهة إحالة البعث، فيحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصانع⁽⁵⁾.

وهذه الأمور التسعة نظراً لحدوثها وإمكانها وتجدها تدل على وجود الفاعل المختار، كما يدل ما فيها من الإتقان والإحكام على كمال العلم والحكمة الذاتية، وإذا ثبت كمال الله تعالى في هذه الأوصاف، ثبت قطعاً إمكان الحشر دون أي شك، ثم في إخراج النبات بعد جفافه ويبسه دليل ظاهر حسي قريب للأذهان على إمكان إخراج الموتى من القبور، وبعثهم بعد الموت أحياء، بالإضافة إلى أن كل أمر من الأمور التسعة نعمة عظيمة، يجب أن تُشكر بالتوفّر على الطاعة، ولا تكفر بالإقدام على المعصية⁽⁶⁾.

(1) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، 8/31، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 20/30، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30.

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 21/30، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30.

(3) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 307/8، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30، والسبحاني، مفاهيم القرآن، 155/1.

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/30، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30.

(5) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/30، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 592/3.

(6) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، 376/30.

لذا جاءت الآيات بعدها لتؤكد وقوع اليوم الذي فيه يُفصل بين الخلائق، وفي اختيار اسم يوم الفصل، من بين الأسماء الأخرى لهذا اليوم كان مناسباً لموضوع السورة، لما فيه من الفصل في أمر هذا النبأ العظيم، وحسم سبب اختلافهم، وفيه فصل بين الناس بالعدل⁽¹⁾، مُعَقِّباً ذلك بذكر ثلاث علامات لهذا اليوم: النفخ في الصور، وتصدع السماء حتى كأنها أبواب، وتسير الجبال وتبدها في الهواء، وهذه شذائد عظام تُنذر بحلول الشيب، وتتدد بالركون إلى الدنيا، وتحض على الاستعداد ليوم المعاد⁽²⁾.

وهكذا استُخدمت الآيات الكونية المحسوسة والمُشاهدة كدلائل على القدرة والوحدانية، ولم تطالب الناس بالإيمان بالبعث كفكرة مجردة، بل ربطتها بالواقع المشهود، لتقيم عليهم الحجة بالبراهين والأدلة المنطقية⁽³⁾، وكل ذي عقل وصاحب فطرة سليمة يعلم يقيناً أن من خلق هذه المنظومة الكونية المحكمة قادر على إعادتها، وأن الإعادة أسهل وأهون، وأن البعث ليس مجرد وعد غيبي، بل هو ضرورة منطقية لاستقامة نظام الحكمة الإلهية.

المطلب الثالث: المنهج الوجداني الدعوي في سورة النبأ:

يخاطب الله - تبارك وتعالى - بآياته القرآنية الفطرة التي غرسها في الإنسان، فيغذيها ويُنمّيها، ويؤصلها، ويُحرّك أحاسيس صاحبها ومشاعره، ويثير عواطفه ووجدانه، لكي يزدهر ويثمر ما أودعه الله - سبحانه - فيها⁽⁴⁾، وفي هذا المطلب سنتحدث عن الفطرة كمنهج قرآني سلكته سورة النبأ لإيقاظ الفطرة وتحريك الوجدان، باعتباره يخاطب بواعث النفس البشرية ويستثيرها، ليوّجها نحو السلوك والعمل، والكلام عن هذا المنهج سيكون في مسألتين على النحو التالي:

المسألة الأولى: التعريف بالمنهج الوجداني الفطري:

المنهج الوجداني الفطري مصطلح مركب من ثلاث كلمات: الأولى: المنهج وقد سبق التعريف به⁽⁵⁾، والثانية: الوجداني: والوجدان: بكسر الواو من وجد الشيء: أدركه وأصابه، وهو في أصل اللّغة: لما ضاع أو لما يجري الضائع في ألا يعرف موضعه، وهو على خلاف النشوان، ويأتي بمعنى: اليسار والسعة؛ قال تعالى: ﴿أَسْكُتُواْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾⁽⁶⁾ أي: من سعتكم⁽⁷⁾، والوجدان: ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة⁽⁸⁾.

ويطلقه الفلاسفة أولاً: على كل إحساس أولي باللذة أو الألم، وثانياً: على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة⁽⁹⁾. وفي الاصطلاح: الوجدان: حالة نفسية تجعل الانسان متأثراً بعواطفه أكثر من تأثره بفكره⁽¹⁰⁾.

(1) يُنظر: خليفة، واللاوي، سورة النبأ: من سؤال البعث إلى بعث التساؤل، ص229.

(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، 30/379، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 7/593.

(3) يُنظر: ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص201.

(4) يُنظر: السبجاني، مفاهيم القرآن، 1/40.

(5) يُنظر: ص8 من هذه الدراسة.

(6) سورة الطلاق: آية6.

(7) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/174.

(8) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، 3/445، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 2/1013، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/2403.

(9) يُنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 2/1013، وأذر شب، بقظة الوجدان والإيمان، ص228.

(10) يُنظر: القلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص470.

وقيل: هو إحساس الباطن بما هو فيه، أو ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف ولا تصنع⁽¹⁾.
 وقيل: هو نفس المرء وقواه الباطنية، وهو مجموع الأحاسيس والانفعالات والعواطف والميول التي يتفاعل معها، أو يتأثر بها من حب، وكراهية، ولذة، وألم، وميل، ونفور، وغيرها من أحاسيس مختلفة⁽²⁾.
 والثالثة: الفطري: والفطرة في اللغة: مشتقة من الفعل فطر، وأصله الشق طولاً، وقطر الله الخلق: إيجاده لهم وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، وفي قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا﴾⁽³⁾، أي: أبدع وركز في الناس حق معرفته تعالى⁽⁴⁾، وقيل للكمأة فطر من حيث أنها تفطر الأرض فتخرج منها، وقيل: الفطرة هي الخلقة، وقيل: هي الجبلة المتهيأة لقبول الدين⁽⁵⁾.
 ومن الناحية الشرعية اختلف السلف في معنى الفطرة؛ فمنهم من قال: الإقرار بمعرفة الله -تعالى-، وهي العهد الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم، ومنهم من قال: أنها الإسلام، ومنهم من قال غير ذلك، ولعل أنسب تعريف لها هو: أنها الخلقة على معرفة الله تعالى والإيمان به⁽⁶⁾.
 وعليه فالمنهج الوجداني الفطري القرآني: هو الطريق الذي سلكه القرآن في إقامة الحجج العقدية عبر مخاطبة ما هو مشترك في التجربة الإنسانية من خلال آياته بهدف إيقاظ ما في النفس من قابلية للإقرار بالحق، وإيقاظ سلسلة من الأفكار والمعتقدات المرتبطة بالخلق والكون، المرتكزة في غريزة الإنسان منذ خلقته، بإثارة عواطفه النفسية وأحاسيسه، سعياً لتذكُّرها، والعمل على إخراجها وتأكيداها.

المسألة الثانية: المنهج الوجداني الفطري الدعوي في سورة النبأ:

السورة في عمومها يغلب عليها الطابع الوجداني، حيث يشيع فيها جو التهويل والتخويف والتهديد والإنذار، حتى لكان التالي لها يكاد يلمس الصور الرهيبة لأحداث القيامة، ويتملكه الذعر والخوف من شذائدها وأحوالها⁽⁷⁾، فهي تبدأ بإثارة حالة من التساؤل الوجداني عن تساؤل جماعة عن النبأ العظيم بطريق الاستنكار والتشويق ثم التهويل لما سيذكر، والاستفهام هنا صوري استعمل للتشويق وجذب الانتباه إلى تلقي الخبر، وهذا الأسلوب من الفواتح البديعة والعريضة، أما التساؤل الحقيقي هو في قوله: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾، الذي يحدث اضطراباً وجدانياً وحيرة بشرية، يصاحبه شعور بالخوف تجاه المجهول، وهذا الشعور مغرور فطرياً في النفس البشرية ومتأصل فيها⁽⁸⁾.
 ثم ردَّ الله تعالى على تساؤلهم، لكن ليس ببيان حقيقة الذي يتساءلون عنه، بل اكتفى بوصفه "عظيم"، متبعاً ذلك بالتلويع المتضمن التهديد، متوعداً إنكارهم القيامة مستخدماً "كلاً" الرادعة الزاجرة المبطله لتكذيبهم بحصول العلم لهم مستقبلاً عياناً، وتعقيب ذلك بـ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ لزيادة تأكيد تحقق العلم لديهم لحظة وقوعه عليهم،

(1) يُنظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص243، والأحمد نكري، جامع العلوم، 38/1.

(2) أذر شب، يقظة الوجدان والإيمان، ص228.

(3) سورة الروم: آية(30).

(4) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 451/3.

(5) يُنظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 781/2، وابن منظور، لسان العرب، 56/5، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1722/3.

(6) يُنظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار، ص51.

(7) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، 369/30.

(8) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 190/21، وقطب، في ظلال القرآن، 3803/30/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/30.

وتأكيد التهديد والوعيد، لعلهم يزدجروا عما هم فيه من الكفر والتكذيب⁽¹⁾، وفي قراءة أخرى: ﴿سَتَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، وهي بالمخاطبة أعظم في الوعيد، وأدل على الاستعطاف للمتأب⁽³⁾.

وهكذا وجهت الآيات شعورهم من حالة الشك والتخبط إلى حالة الترقب الإيجابي ليوم الفصل، مُستثمرًا الشعور بالهيرة والخوف، ليحولهما إلى يقظة وفطنة بالموقف الذي ينتظرهم مستقبلاً.

ثم أورد تعالى من جميل صنعه ما تظهر به قدرته وحكمته منبهاً بها وحدانيته وقدرته على البعث والجزاء، حيث عرض الآيات الكونية كمنح إلهية تُشعر النفس بالطمأنينة والامتنان، مستفتحاً عرضها بهمة الاستفهام الذي يفيد التقرير، وكأن كلمات الله تعالى يدّ تهز الغافلين، وتوجه أنظارهم وقلوبهم إلى هذا الحشد من الخلائق والظواهر، والتي تشي بما وراءها من التدبير والتقدير، والقدرة على الإنشاء والإعادة، وأنهم لم يُخلقوا عبثاً ولا سدى بلا حساب وجزاء⁽⁴⁾، وقد سبق تناول هذه الآيات في المطلب السابق بما يخدم موضوعه، لذا سنعيد عرضها هنا بصورة مقتضبة بما يخدم موضوع هذا المطلب.

ومن هذه الآيات أنه جعل الأرض مهية لهم مبسطة مذللة، كفرش الطفل الممهّد للنوم فيه، وذلك دليل على إبداع الخلق والتيسير على الناس، فهو استدلال يتضمن امتناناً، ومن اتمام نعمته وامتنانه على خلقه أنه جعل الجبال مُثَبِّتة للأرض، تمنعها من الاضطراب والميلان، ليسهل لهم الحركة والعيش فيها؛ كما أن لهم منافع جمة في الجبال؛ فمنها مساليل الأودية، وقرارات المياه في سفوحها، ومراعي أنعامهم، ومستعصمهم في الخوف، ومراقب الطرق المؤدية إلى ديارهم إذا طرقها العدو⁽⁵⁾.

ولما ذكّر الله تعالى بما في الظرف الذي هو فرشهم إتماماً للنعمة أتبعه بالتذكير بما في المظروف؛ وهو أنفسهم⁽⁶⁾؛ فقال: ﴿وَوَلَقَدْ أَنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وفيها دليل على عظيم قدرته، وحكمته، وامتنانه على الناس؛ حيث خلقهم بحالة تجعل لكل واحد من الصنفين ما يصلح لأن يكون له زوجاً؛ ليحصل التعاون والتشارك في الأنس والتنعيم، وفي ذلك حمل لهم على الشكر بالإقبال على النظر فيما بلغ إليهم عن الله الذي أسعفهم بهذه النعم، وتعرض بأن إعراضهم ومكابرتهم فيما بلغهم من ذلك كفران لنعمة واهب النعم⁽⁷⁾.

وبعد أن ذكر ما هو سبب لبقاء النوع؛ أتبعه بذكر ما هو سبب لحفظه من إسراع الفساد، حيث انتقلت الآيات إلى الاستدلال بأحوالهم؛ وعلى رأس ذلك حالة النوم، فهي متكررة، لا تخلو من الشعور بما فيها من العبرة؛ وفيها امتنان على الناس لما فيه راحة لهم من تعب العمل في نهارهم، وإتماماً للنعمة أن جعل النوم حاصلاً للإنسان بدون

(1) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 193/21، وقطب، في ظلال القرآن، 3803/30/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/30، والزحيلي، التفسير المنير، 373/30.

(2) القراءة لابن عامر، يُنظر: الفارسي، الحجة للقراء السبعة، 367/6.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 194/21.

(4) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، 3804/30/6.

(5) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14/30، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 456/7.

(6) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 196/21.

(7) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/30.

اختياره، ليستجد العصب قواه التي أوهندها عمل الحواس وحركات الأعضاء وأعمالها⁽¹⁾، وفي وصفه للنوم بالسبات⁽²⁾ امتنان بالنوم الهانئ، الذي يتبعه الشعور بالراحة والنشاط.

ومن إتمام الاستدلال أن جعل الليل حالة مهياة لتكثيف النوم، ومعينة على هوائه والانتفاع به، لأن الليل ظلمة عارضة في الجو، وبذلك الظلمة تحتجب المرئيات عن الإبصار فيعسر المشي والعمل والشغل، وينحط النشاط، فتتهياً الأعصاب للخمول، ثم يغشاها النوم فيحصل السبات بهذه المقدمات العجيبة، وفي ذلك امتنان عليهم بهذا النظام الذي فيه اللطف بهم، وراحة حياتهم، ولو قدره حق قدره لشكروا، وما أشركوا، ولا جرم كان نظام الليل آية على انفراد الله تعالى بالخلق وبديع تقديره، ودليلاً على قدرته على إعادة الأجسام بعد الفناء⁽³⁾.

ولما ذكر نظام الليل قبل بذكر نظام النهار، الذي يكون فيه ضوء الشمس منتشراً على جزء كبير من الكرة الأرضية، فنعمة الليل راجعة إلى الراحة والهدوء، ونعمة النهار راجعة إلى العمل والسعي، لأن النهار يعقب الليل فيكون الإنسان قد استجد راحته واستعاد نشاطه ويتمكن من مختلف الأعمال بسبب إبصار الشخص والطرق، ولما كان معظم العمل في النهار لأجل المعاش أخبر عن النهار بأنه معاش⁽⁴⁾.

ثم أشار إلى خلق السموات السبع بالبناء لعلوها، وأتبعها أبرز مخلوقاته في هذا الفضاء العلوي، وهي الشمس؛ ففي خلقها وجعلها سراجاً عبدة ومنة على الناس باستفادتهم من نورها فوائد كثيرة⁽⁵⁾.

ولما ذكر ما يحق الرطوبة بحرارته، أتبعه بما يطفئ الحرارة برطوبته، وهي إنزال المطر، فتتبت الأرض بعد جذابتها، حيث جعل نزول المطر سبباً في خروج الحب كالحنطة والشعير، وبدأ به لأنه قوت الإنسان، والنبات الذي يتكفّهون، ويتزهون فيه، وتعتلفه البهائم، ثم آخراً الجنات ذات الأشجار الملتفة، لما فيها من إيماء إلى إتمام المنّة، لأن الناس كانوا يحبون الجنات والحدائق، ولما فيها من التنعم بالظلال، والثمار، والمياه، وجمال المنظر، وتلك كلها فيها حياة قريبة من حياة الإنسان والحيوان؛ وفيها منّة على المعرضين عن النظر في دلائل صنع الله تعالى، ومن دواعي شكر المنعم بها، فإنهم لو شكروا المنعم بها؛ لكانوا مستعدين للنظر بتوقع أن تكون الدعوة البالغة إليهم صادقة⁽⁶⁾.

وبعد هذا العرض لبعض نعم الله تعالى على الناس؛ ينكسر الشعور بالخوف من المجهول إلى الشعور بالامتنان والنقص، الذي لا يجدون أمامهم إلا الإقرار بوحداية الخالق، واليقين بوقوع البعث والجزاء، هكذا توجه الآيات المعروضة قلب الإنسان وحسّه إلى أن هذا التناسق في خلق الكون وهذه الدقة في التصميم، لا بُدَّ من يدٍ أوجدته، وقدرة أحكمته، وإرادة دبّرت، فتشعر بوجود الخالق وقدرته، وتوقع في قلبه لمسات موقظة موحية بما وراء هذه الحياة من قصد وغاية، ولم يوجد الناس عبثاً، ولن يُتركوا سدى⁽⁷⁾.

(1) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 196/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 19/30.

(2) السبات: النومة الخفيفة، وأصله من السبت: الراحة والسكون، أو من القطع وترك الأعمال. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، 37/2.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 197/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 20/30.

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 21/30، والألوسي، روح المعاني، 207/15.

(5) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 197/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/30.

(6) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 199/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/30.

(7) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 200/21، وقطب، في ظلال القرآن، 3806/30/6.

لذا جاء بعد هذا العرض إقرار البعث ووصف بعض أهواله بما تشيع الخوف والرغبة، ليصل المنهج الوجداني في تصويره لمشهد اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه بين عباده؛ إلى نروته، حيث تُثَقِّل النفس من حالة الغفلة إلى حالة الاستبصار، وتُقابِل السورة بين مشهدين متضادين في السلوك والمصير:

المشهد الأول: حال الطاغين ومآلهم، حيث أن الله تعالى جعل لهم جهنم تترصد لهم وأعمالهم، فلا تُثَقِّل أحداً ممن حق عليهم دخولها، فهي لهم مرجعاً ومقرراً ومسكناً، وجاءت بأسلوب من شأنه إدخال الروع على المتجاوزين حدود الله تعالى، وابتدأ بذكر جهنم لأن المقام مقام تهديد، ثم بيّن أنهم مقيمون فيها أزمنة طويلة، ودهور متعاقبة لا نهاية لها، فلا يكادون ينفكّون عنها، وأنهم لا يدقون مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة، أو ظل يمنع من نار، ولا يجدون شرباً يُسكّن عطشهم، ويزيل الحرقعة عن بواطنهم، إلا ماءً شديد الحرارة إذ يُرَقِّق على أجسادهم، والصدید إذ يسيل على مواضع الحرق فيزيد ألمهم، وهذا العذاب الذين ينالهم في جهنم هو موافق للعمل الذي جوزوا عليه، لذا شرّعت الآيات بعدها في فضح قبائح أعمالهم، وعلى رأسها تكذيبهم بالتوحيد، والنبوة، والمعاد، والشرائع، والقرآن، وأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم؛ فلا يدع شيئاً من سيئاتهم إلا يحاسبهم عليه⁽¹⁾.

وزيادة في تبيّنتهم وتقرّيعهم قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فالأمر في قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ مُسْتَعْمَل للتوبيخ والتقرّيع، وفيه إعلام بمضاعفة العذاب، وتقرّيع لهم وتأنيب، وهو أمر يراد به الإهانة والتحقير، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ، وما يزيد تنكيدهم وتحسيرهم بإعلامهم بأن الله سيزيدهم عذاباً فوق ما هم فيه، وفي هذا الأسلوب ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس من كل رجاء في تغيير أو تخفيف، وذلك أشدّ حزناً وغماً، بما يوهّمهم أن ما أُلْفُوا فيه هو منتهى التعذيب، حتى إذا ولج ذلك أسماعهم فحزنوا له، أتبع بأنهم ينتظرهم عذاب آخر أشدّ، فكان ذلك حزناً فوق حزن⁽²⁾، والآية دالة على المبالغة في التعذيب من وجوه: أحدها: قوله: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ﴾ وكلمة "لن" للتأكيد في النفي. وثانيها: أنه في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ذكرهم بالمغايبة ونفي الرجاء، وذلك أبلغ؛ فالإنسان يطمع في الخير، وفي قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ إلفات مؤذن بالإهانة وزيادة العذاب وشدة الحزني وكمال الغضب⁽³⁾. وثالثها: أنه تعالى عدّد وجوه العقاب ثم حكم بأنه جزء موافق لأعمالهم، ثم عدّد فضائحتهم، ثم قال: ﴿فَذُوقُوا﴾، فكأنه تعالى أفتى وأقام الدلائل، ثم أعاد تلك الفتوى بعينها، وذلك يدل على المبالغة في التعذيب، فهذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار، وكلما استغاثوا من نوع من العذاب أُغِيثُوا بأشدّ منه⁽⁴⁾. وهذا المشهد الترهيب يهدف إلى حماية النفس من الغفلة؛ فلا ينالها من العذاب ما ناله هؤلاء الطغاة، رغم الكرم الإلهي والعفو الرباني معهم؛ حيث لم يُضاعف لهم جزاء سيئاتهم، فمن عمل سيئة فلا يُجزى إلا واحدة من جنسها، على عكس الحسنه التي تُضاعف بعشر أمثالها أو بغير حساب⁽⁵⁾.

والمشهد الثاني: حال المتقين ونعيمهم، حيث وعدهم الله تعالى بالفوز والظفر بالخير ونيل المطلوب من الجنة ونعيمها والنجاة من النار، فهم يتنعمون في جنات فيها حدائق من النخيل والأشجار ذوات الساق الملتفة، وأعناباً،

(1) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، 14/31، والبقاعي، نظم الدرر، 204/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 34/30.
(2) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، 3808/30/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 41/30، والزحيلي، التفسير المنير، 379/30.
(3) البقاعي، نظم الدرر، 207/21.
(4) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، 20/31، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 311/8.
(5) يُنظر: نخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 565/6.

وجاريات من الحوريات المتساويات في السن والجمال؛ بحيث لا تميل النفس إلى إحداهن دون الأخرى، وفيها أواني من الزجاج ومن الفضة ومن الذهب مُعدّة للشرب، ومملوءة خمرًا، يشربونه وينعمون بلذة السكر المعروفة، دون أن تأتي على كمالاتهم النفسية كما تأتي عليها خمر الدنيا؛ فخمر الجنة سليمة مما تسببه خمر الدنيا من آثار العريضة من هذيان، وكذب، وسباب، فلا يسمعون في الجنة الكلام السافل، ولا الكذب، ولا ينالهم أقل أذى⁽¹⁾. وهذه النعم التي ينالها المتقون منها ما هو جزاء إيمانهم، ومنها ما هو تفصيل بدون عوض، زيادة على ما قدّموا من عمل، شكرًا لهم، وعطاءً وكرمًا منه تعالى لنبيه، وكرامة لهذه الأمة إذ جعل ثوابها أضعافاً⁽²⁾، وهذا فيه من الترغيب ما من شأنه أن يعمل على تحفيز النفس على الاستقامة، والسير على منهج المتقين؛ لتتال من النعيم ما ناله هؤلاء.

وتختتم السورة بتصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة الذي وصفه بيوم الحق؛ حيث يحصل فيه كل الحق، ويندمغ كل باطل، وجميع الخلق فيه ساكتون لا يتكلمون، وفيه تقوم فيه الملائكة مصطفين لشدة الأمر، ولللقاء ما في ذلك اليوم من شدائد الأهوال، ولحفظ الثقلين وهم في وسط دائرة صفهم من الموج والاضطراب لعظيم ما هم فيه يومها، وبعد أن رهّب ورغّب، وأنذر وبشّر، ترك لهم الحق في تقرير مصيرهم واختيار طريقهم، فمن أراد النجاة فيه؛ اتخذ إلى ثواب ربه مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه، ويقربه منه، ويدنيه من كرامته، ويباعده عن عقابه، بالإيمان الحق والعمل الصالح⁽³⁾.

وفي هذا المشهد كانت الهزة العنيفة للمتسائلين والمختلفين، وبيان أن الفرصة ما زالت سائحة لهم لمن أراد الرجوع والتوبة، وفيه تهديد لهم وتحذير وتخويف من ذلك اليوم، ولتأكيد وقوعه كأنه صار قريباً، وفي هذا اليوم القريب ينظر كل امرئ ما قدّم من خير أو شر في حياته الأولى، وحينها من هول وشدة ما يعانيه الكافر من الأهوال والعذاب يتمنى لو كان تراباً لم يُبعث، ولم يُحاسب، يقولها وهو ضائق مكروب، وهذا موقف عظيم، يوحى بحالة الرهبة والندم والحسرة التي يعيشها⁽⁴⁾.

وبهذا يُغلق المنهج الوجداني دائرته بنداء الفطرة للنفس البشرية لإعادة تقييم مسارها الأخلاقي؛ وتحوّل كل المشاعر السابقة من قلق وامتنان وخوف إلى الشعور بالمسؤولية في تحديد المصير، ومن الشعور الداخلي إلى المحاسبة والمراجعة لما قدمت يداها، والاستعداد للعمل للتصالح مع فطرته، التي بطبيعتها تبحث عن المعنى والجزاء، وهذا هو الجسر الذي يعبر عليه الإنسان من حالة الشك والإنكار إلى حالة اليقين والاستقامة، مما يجعل السورة كافية ومكتملة في دفع النفس نحو المراجعة الذاتية.

وهكذا نخلص إلى أن المنهج الوجداني الفطري في سورة النبأ ليس مجرد أداة ترهيب أو ترغيب، بل هو تربية للفطرة؛ فقد استطاع النص القرآني أن يلمس أوتار النفس البشرية، مُحَوِّلاً الغفلة إلى تبصّر، والخوف إلى استقامة،

(1) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، 21/31، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 43/30.

(2) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 211/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 46/30.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 213/21، 214، والسعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 908.

(4) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، 3809/30/6، والزحيلي، التفسير المنير، 391/30.

والجهل بالغاية إلى إدراك عميق لمعنى المسؤولية الوجودية، فهي تخاطب الإنسان في كليته: عقله الذي يتدبر، ووجدانه الذي يخشع، وفطرته التي تتوق إلى الحقيقة.

المبحث الثالث: تطبيق المنهج الدعوي في سورة النبأ في الخطاب الدعوي المعاصر

يُعتبر هذا المبحث جوهر الدراسة وهدفه الأساسي، حيث من خلاله يتم تحويل المنهج الدعوي في سورة النبأ إلى قواعد تطبيقية وخطوات إجرائية يسير عليها الدعاة المعاصرون، ويستحضرونها في خطاباتهم الدعوية لمواجهة التحديات والقضايا الدينية المعاصرة، ومن ثمّ تقديم نموذج تطبيقي للمنهج الدعوي القرآني المستنبط من سورة النبأ في الخطاب الدعوي المعاصر، وعليه فإن هذا المبحث سيكون في مطلبين، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: قواعد المنهج الدعوي القرآني المستنبطة من سورة النبأ:

بناءً على ما ذكر في المبحث السابق من دراسة المناهج الدعوية التي استخدمتها سورة النبأ، والتي تمّ تأصيلها من خلال تحليل السورة، تأتي الدراسة هنا لتُقرّر بعض المرتكزات التي اعتمدت عليها المناهج الدعوية في السورة لمعالجة قضية البعث والجزاء، والتي كانت بمثابة قواعد انطلقت منها تلك المناهج وتحددت ملامحها، ومن ذلك استخدام استراتيجية السؤال والجواب، واستراتيجية التدرج في الإقناع، واستراتيجية الربط بين الثواب والعقاب، واستراتيجية الغاية والوسيلة، ومن خلال هذه الاستراتيجيات يمكن استخلاص مجموعة من القواعد التطبيقية والخطوات الإجرائية التي تُشكّل منهجاً حركياً للداعية المعاصر في خطابه الدعوي، وجعلها قواعد لتكون الأساس الذي ينطلق منه، وأطلقت عليها المسميات التالية: التنبيه وال جذب، التدرج في الإقناع، الربط والتأثير، والغائية، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

المسألة الأولى: قاعدة التنبيه وال جذب:

وقد استنبطت هذا المسمى من خلال الأسلوب الذي افْتُحِتْ به السورة بقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾، فهذا الاستفهام يُمثّل أداة لتنبيه و جذب المُتَلَقِّي، جاء لغرض الاستنكار والتشويق ولفت الانتباه⁽¹⁾، وغالباً ما يكون التنبيه وال جذب بالسؤال، الذي يعني طلب المعرفة حول شيء مُعَيَّن، هذا الاستفهام من شأنه إحداث صدمة معرفية أو عاطفية تُخرج المُتَلَقِّي من حالة الركون، أو الغفلة، أو الإنكار، والذي بدوره يخلق استعداداً ذهنياً لسماع ما سيتم طرحه⁽²⁾.

وهذه الأسئلة من شأنها أن تؤدي وظائف منهجية دقيقة، فالاستفهام الذي افْتُحِتْ به السورة كان له أثره على نفوس المتسائلين، حيث كسر رتابة التكذيب، وواجه حالة الاستخفاف التي كانوا يُبدونها تجاه يوم البعث، الذي وصفه بالعظيم، مما يضع المتلقي في حالة استنفار ذهني، فيحفّز عقله على البحث عن الحقيقة الكبرى، لأن الاستفهام يترك المتلقي في حالة إنكار وشكّ يصاحبه ترقّب، مما يجعله أكثر قابلية لتلقي المعلومة اللاحقة، كما أن إيراد الكلام في معرض السؤال والجواب أقرب إلى التفهيم والإيضاح⁽³⁾.

(1) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 190/21، وقطب، في ظلال القرآن، 3803/30/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/30.

(2) يُنظر: عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم (سورة الأنبياء نموذجاً)، ص43.

(3) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، 3/31، والبقاعي، نظم الدرر، 192/21، وعيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم (سورة الأنبياء نموذجاً)، ص38.

وهناك استفهام آخر في السورة لابد من الإشارة إليه؛ وهو في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، وما عُطِفَ عليها من الآيات حتى قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، وهذا النوع من الاستفهام يُسمَّى الاستفهام التقريري، فهو يفيد التقرير، حيث يوجّه المخاطب للإقرار بكمال أفعال الله تعالى وقدرته المطلقة في خلق الخلق وتدبير شؤونهم، وكأن يدّ تهرؤه، وتوجّه نظره وقلبه إلى هذا الحشد من الخلائق والظواهر، والتي تشي بما وراءها من التدبير والتقدير، والقدرة على الإنشاء والإعادة، وأنه لم يُخلق عبثاً ولا سدى، بلا حساب ولا جزاء، فلا يجد أمامه إلا الإقرار بوحداية الخالق، واليقين بوقوع البعث والجزاء⁽¹⁾.

فالاستفهام في عمومته استراتيجية خطابية نفسية، تهدف إلى إيقاظ الغفلة، وخلخلة القناعات الخاطئة، وتهيئة المتلقي ذهنياً، وجعله في حالة استعداد تام للسمع والنظر وتلقي الحقائق، مما يشكل خارطة طريق للداعية في التعامل مع الطبيعة البشرية المتقلّبة، وتعلّمه مهارة في توجيه الانتباه، فالحقائق لا تفرض فرضاً، بل استثمر الأسئلة التي تشغل بال المدعو، وابدأ من حيث ينتهي فضوله، وكل الأفكار الملحدة تبدأ بسؤال، والداعية الناجح هو من يجعل الخطاب الدعوي مرتبطاً بواقع الإنسان.

المسألة الثانية: قاعدة التدرج في الإقناع:

وقد اسهلت هذه القاعدة من خلال المنهجية التي سارت عليها سورة النبأ، حيث تدرّجت مع منكري البعث والجزاء في إقناعهم بهذه الحقيقة، مستخدمة كل المعطيات المتاحة، إذ لم تُفرض عليهم هذه الحقيقة قسراً، بل سارت مع عقولهم خطوة خطوة، فبدأت باستثارتهم ذهنياً بالاستفهام، وهذا التدرج في البدء بطرح التساؤل قبل تقديم الإجابة يُعدُّ استراتيجية إقناعية ذكية تهدف إلى خلق الفراغ المعرفي من خلال إشعار المتلقي بأهمية الموضوع ﴿النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾، ثم التهيؤ الذهني؛ حيث يدفع المخاطب للتركيز على فحوى الخبر، مما يجعله أكثر تقبلاً للمعلومات اللاحقة⁽²⁾، وقد سبق الإشارة إلى ذلك آنفاً.

ثم انتقلت بهم الآيات بعد المقدّمة التساؤلية إلى مرحلة تلقي الحقائق، مستدلة بالبراهين الحسية، وهنا انتقل المنهج من الخبر إلى البرهان عبر سرد ظواهر كونية مشاهدة، كجعل الأرض ممهدة، والجبال مثبّطة للأرض، وخلق الخلق أزواجاً، وجعل النوم راحة، والليل سترًا وغطاءً، والنهار سعيًا ومعاشاً، والسموات بناءً، وأنزل المطر ثَجَّاجاً، وهنا نجد تدرجاً في الحجة، من خلال ربط المحسوسات بالخالق، وتحويل المشاهد الطبيعية من كونها مجرد بيئة إلى أدلة على قدرة الفاعل، ليأتي بعدها القياس المنطقي في إثبات البعث، والمعروف بقياس الأولى⁽³⁾، حيث يعتمد النص على بناء قياس استنباطي لإثبات إمكانية البعث⁽⁴⁾، ويمكن صياغته كالتالي:

المقدمة الكبرى: كل من له القدرة على خلق الأجرام العظيمة (السماء، الأرض، الجبال... الخ) من العدم، فهو قادر بالضرورة على إعادتها أو خلق ما هو أقل منها.

(1) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 200/21، وقطب، في ظلال القرآن، 3806/30/6، والقطان، مباحث في علوم القرآن، ص313، والعبدي، بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة النبأ، ص223.

(2) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير، 3/31، البقاعي، نظم الدرر، 192/21، وعيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم (سورة الأنبياء نموذجاً)، ص38.

(3) قياس الأولى: يُقصد به في مجال إثبات البعث قياس الإعادة على البدء، ويُعتبر من أقوى الأدلة العقلية. يُنظر: العريفي، الأدلة العقلية النقلية، ص364.

(4) حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، ص236.

المقدمة الصغرى: الله هو الذي خلق هذه الأجرام، كما في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) إلى آخر الآيات المعطوفة عليها.

النتيجة المنطقية: الله قادر على البعث بعد الموت من باب أولى.

فهذا الاستدلال تجاوز مجرد الإخبار بالبعث إلى إلزام العقل بقبوله بناءً على مُسَلِّمةٍ كبرى؛ مفادها أن القدرة على الخلق الأول تتضمن بالضرورة القدرة على الإعادة، بل هو أسهل عليه أو مساوٍ له من باب أولى، وهنا يرتفع الحرج عن العقل في قبول الأمور الغيبية كالبعث والجنة والنار، حين يُربط بمقدمات حسية مشاهدة، بدلالة الأثر على المؤثر⁽¹⁾. وبعد عرض الآيات الكونية، والاستدلال بها على وحدانية الخالق وقدرته على البعث، انتقل منهج السورة بالمتسائل ليصل به إلى المحطة الأخيرة، وهي يوم الفصل حيث يكون فيها تحديد المصير، وهي النتيجة الحتمية، وهذا التدرج من الخلق المادي إلى المحاسبة الغيبية يمنح الخطاب قوة إلزامية، حيث لا يجد العقل مفرًا من التسليم بالنتيجة بعد أن أُسِّست على مقدمات كونية لا جدال فيها.

وهكذا نجد أن السورة لا تكتفي بفرض الحقائق، بل تُشغل آلة التفكير لدى المتلقي عبر بناء استدلال تراكمي، يبدأ بالتشكيك بطرح السؤال، ثم ينتقل به إلى مرحلة الاستقراء عبر عرض الأدلة بما نكر من الآيات الكونية، ليصل به في النهاية إلى الاستنتاج الذي يتضمن إثبات حتمية وقوع يوم الفصل والحساب والجزاء، وهذا التدرج جعل السورة تمثل نموذجاً متكاملًا للمحاجة العقلية التي تنتهي بالتسليم المبني على البرهان.

كما أن السورة تضمنت نوع آخر من القياس، يُسمّى قياس البعث بنظيره⁽²⁾، كقياس اليقظة بعد النوم على البعث بعد الموت، فالنوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه حال بحال الموت وما يعقبه من البعث⁽³⁾. وكذلك قياس إحياء الأرض بعد جذبها فيه دليل على تصوّر حالة البعث بعد الموت بدليل من التقريب الدال على إمكانه، وهكذا تضمنل من نفوس المكابرين شبهة استحالة البعث، فيحصل إقرارهم بالبعث⁽⁴⁾.

فمخاطبة العقل بالأدلة والبراهين والمقدمات المنطقية ينقل بالمتلقي من التشكيك إلى اليقين عبر بناء منطقي محكم، وكلما كان الدليل الدعوي مرتكزاً على حقائق كونية، أو واقعية ملموسة؛ كان أسرع وصولاً لقلب وعقل المدعو، لذا لزم على الداعية المعاصر توظيف العلوم الكونية والسنن الاجتماعية التي يُقرُّ بها المدعو لتقريب الحقائق الإيمانية، مما يقلل من الفجوة بين الفكر المادي والفكر الغيبي.

كما نلاحظ في السورة التدرج الإلهي في سوق الدلائل والبراهين للمكذّبين في السورة، حيث تدرّج معهم من الأسفل إلى الأعلى، فبدأ بالأرض والجبال الذين هما تحت أقدامهم، ثم ارتقى فاستدلّ بأنفسهم وخلقها، ثم ببعض أحوالهم كالنوم، ثم استدلّ بما هو أعلى من حيث النظر إليه؛ وهو الليل والنهار، ثم ارتقى إلى السماوات والشمس،

(1) دلالة الأثر على المؤثر: هو أن كل شيء يدلُّ على وجود الله تعالى، إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته تعالى. يُنظر: العريفي، الأدلة العقلية النقلية، ص124.

(2) يُنظر: العريفي، الأدلة العقلية النقلية، ص366.

(3) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/30.

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/30، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30، ونخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن، 592/3.

والتي لا يطمح المرء بالنظر إلى ما هو أعلى منهما، ثم عاد بهم مرة أخرى إلى الأرض لِيُذَكِّرَهُم بالبعث من خلال ما يرونه من إخراج الحب والنبات⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن سورة النبأ استخدمت قاعدة التدرج كألية إقناعية للوصول بالمتلقي من حالة الإنكار، أو الغفلة إلى حالة الإذعان واليقين، فلم يأت عرض قضية البعث كقضية مجردة، بل صيغت وفق بناء عقلي متصاعد، يستثمر الفطرة البشرية للوصول إلى الحقيقة الإيمانية.

المسألة الثالثة: قاعدة الربط والتأثير:

صغت هذه القاعدة لما رأيت من كثرة الربط بين الأشياء في سورة النبأ، وفي أكثر من اتجاه، وهي إذ تربط بين شيئين تضيء بالأثر المرجو من هذا الربط، فمثلاً:

ربطت السورة بين إيجاد الحياة الأولى من خلال عرضها للمظاهر الكونية، المخلوقة بإتقان بديع ومُحكم، وبما ينفع الخلق، وبين القدرة على الإعادة، فمن خلق أولاً قادر على إعادته ثانياً⁽²⁾؛ وهذا الربط يترك أثراً بليغاً في نفس المتلقي، حيث يقوم بتحويل مفهوم البعث من فرضية غيبية مجردة إلى حقيقة عقلية مترتبة على مقدمة الخلق، مما يزيل الاستبعاد الذهني لدى المخاطب.

وربطت السورة بين مشهد الكون ومشهد المحاسبة، فبعد إقامة الدليل على القدرة على البعث، أتبعه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾، ليقول للمتلقي: هذه النعم التي تتقلب فيها في الدنيا مُحَاسَب عليها يوم الفصل، فإن قابلتها بالإيمان والشكر والطاعة كنت من المتقين الفائزين، وإن قابلتها بالكفر والجحود والإنكار كنت من الطاغين المُعَذِّبين، فتعاملك مع هذه الآيات هو الذي يُقرّر مصيرك في الآخرة⁽³⁾، وربط الدليل الكوني بالنتيجة الإيمانية لإحداث أثر وجداني وسلوكي، من شأنه أن يترك أثراً قوياً في نفسية المتلقي، فيدفع به نحو الالتزام، حيث يعمل على توليد يقظة أخلاقية لديه، ويُحاسب نفسه ويُراقبها بصورة مستمرة، لشعوره أن حياته الدنيوية ليست منفصلة عن حياته الآخروية.

ومن جهة أخرى ربطت السورة بين الحكمة والجزاء مُستخدمة منطق الغاية والوسيلة، وهو استدلال يربط بين وجود النظام ووجود الغاية، ويعتمد على مقدمة كبرى: كل نظام محكم كالليل، النهار، النوم،... الخ لا بُدَّ أن يكون له غاية، أو هدف. ومقدمة صغرى: الحياة الدنيا مليئة بالتفاوت والظلم ولا بُدَّ من الفصل وتحقيق العدالة. والنتيجة المنطقية: لا بُدَّ من وجود يوم الفصل لِيُجازى الناس فيه على أعمالهم، ويتحقق الغرض من الخلق، وهكذا يتحول يوم الفصل من مجرد نص عقدي إلى ضرورة منطقية لاستكمال اتساق النظام الكوني وتحقيق العدالة المرجوة.

كما يوجد ربط من نوع آخر غير ما ذكر، وهو الربط بين المتناقضات منطقياً، حيث استخدمت السورة تقنية تقابل الأضداد لتعرية منطق المشركين، فهم يُنكرون البعث، وفي الوقت ذاته يعترفون بأن الله تعالى خلق الكون،

(1) يُنظر: خليفة، واللاوي، سورة النبأ: من سؤال البعث إلى بعث التساؤل، ص228.

(2) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 200/21، وقطب، في ظلال القرآن، 3806/30/6، والقطن، مباحث في علوم القرآن، ص313، والعبدلي، بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة النبأ، ص223.

(3) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 213/21-214، والسعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص908.

وهذا تناقض منطقي؛ فمن يقر بالخالق، لا يصح عقلاً أن ينكر قدرته على البعث، لأن الخلق الثاني أسهل أو مساوٍ للخلق الأول.

وهناك الجمع بين المتقابلات فقد ذكرت السورة السماء التي بناها فوقنا، والأرض الممهدة التي نُقِلْنَا، والسماء تُقابل الأرض كما هو معروف، وتكلمت عن نظام الليل الذي هو ستر وغطاء لنا، وفيه نومنا وراحتنا، ونظام النهار الذي فيه سعينا ومعاشنا، وفي النظامين عبرة بدقة الصنع وإحكامه؛ إذ جعل نظامين مختلفين منشؤهما سطوع نور الشمس واحتجابه فوق الأرض، وهما نعمتان للبشر مختلفتان في الأسباب والآثار⁽¹⁾، وفي طلوع الأجرام السماوية وغيابها في حركة منتظمة لا تتغير؛ دليل قاطع على خضوعها لموجدِها، تسير وفق إرادته، ومحكومة بقوانين مشيئته، فهي تدل على قدرة صانعها وتقرده⁽²⁾.

ورسمت لنا السورة مشهداً للطايعين، ووصفت فيه أحوالهم وعذابهم يوم القيامة، وفي المقابل رسمت مشهداً آخرًا للمتقين، ووصفت فيه بعض النعيم الذي ينتظرهم ذلك اليوم، وهما مشهذان متضادان، كلٌّ منهما يقابل الآخر، ومعلوم أن المشهدين فيهما ترهيب وترغيب، وهما متضادان متلازمان، فكلٌّ منهما يُكَمِّل الآخر، بما يُشعر بوجود توازن في بناء الشخصية المسلمة.

فسورة النبأ تُعدُّ أنموذجاً قرآنياً فائقاً في بناء هذه القاعدة، وجعلها استراتيجية تواصلية تهدف إلى تغيير القنوات السلوكية والاعتقادية للمتلقّي، فتحولُه من حالة التيه إلى حالة الوعي بالمصير، والدعوة المعاصرة أحوج ما تكون إلى هذه القاعدة، التي تربط حقائق العلم والكون بالإيمان الغيبي، مما يكسر حاجز المادية المفرطة لدى الإنسان المعاصر.

المسألة الرابعة: القاعدة الغائية:

وأقصد بهذه التسمية: القاعدة المبنية على الغاية، أو الهدف الأسمى للحياة والوجود، وسورة النبأ قد تصدت للرؤية التي تنفي وجود هدف للحياة، حيث نجد أصحاب هذه الرؤية يختلفون في أمر البعث والجزاء، لذا جاء الاستفهام الاستكاري مستفتحاً به عرض الآيات الكونية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا...﴾، ليضع المتلقي أمام حقيقة وجودية؛ هي أن الخلق المتقن يتنافى مع العبث، والقاعدة هنا تُقرر أن الإتيان في الخلق يستلزم القصد في الغاية، وسورة النبأ جعلت ميقات الحساب كغاية نهائية، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾، أي: ميعاداً لبعث الأولين والآخرين، وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً، لا يتقدم ولا يتأخر⁽³⁾. وإذا ربطنا بين دقة النظم الكونية المذكورة في السورة: الأرض مهاداً، الجبال أوتاداً، النوم سباتاً، الليل لباساً، النهار معاشاً، السماء بناءً، المعصرات ثجاجاً، إحياء الأرض نباتاً، وبين يوم الفصل، فإننا سنجد أن هذه الآيات كلها ذُكرت في سياق إثبات الحياة الأخرى، ولم تُذكر لمجرد العرض، والله تعالى أوجدنا لغاية ومهمة عظيمة وهي عبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁴⁾، وقد جعل الله تعالى الجنة والنار كنهاية لهؤلاء، فمن عبَدَ الله تعالى حق عبادته كافأه تعالى بأن جعل الجنة له ثواباً وجزاءً، ومن كفر وتكبر وطغى وتجبّر؛ جعل الله

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 21/30، والزحيلي، التفسير المنير، 376/30.

(2) يُنظر: السبحاني، مفاهيم القرآن، 146/1.

(3) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 309/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 29/30.

(4) سورة الذاريات: آية 56.

تعالى له النار جزاءً وعقاباً، لذا ذكرت الآية بعد تأكيد وإثبات البعث والجزاء، مشهد عذاب الطاغين، وأتبعته بمشهد نعيم المتقين، لتكتمل الصورة وتتضح أمام المكذّبين المنكرين، وجاء آخر السورة ليُقرّر أن هذه النهاية التي تنتظر الإنسان هو وحده المسؤول عنها نتيجة أعماله في الدنيا، فمن شاء الجنة عمل بعمل المتّقين، ومن شاء جهنم عمل بعمل الطاغين⁽¹⁾، فهذه الحياة ليست غاية في ذاتها، بل وسيلة نزرع فيها الأعمال لنصل إلى الغاية، وهي الحياة الآخرة حيث يكون حصاد أعمالنا التي زرناها في الأولى.

وهكذا تُعلّمنا السورة أن نربط أعمالنا وسلوكياتنا وأقوالنا بالغاية التي خُلِقنا لأجلها، فالخطاب القرآني في السورة لا يكتفي بسرد الأدلة الكونية، أو التهديد الأخروي، بل يربط كل ذلك بغاية الوجود الإنساني ومصيره النهائي، وعليه كلما تعاظمت الأدلة المادية على الإتيان، تعاظم دليل الغاية القائل أن الله لم يخلق هذا عبثاً، والدعوة إلى الله تعالى التي تقتدر إلى الرؤية الغائية تبقى دعوة مبتورة لا تلامس عمق التساؤل الإنساني، لذا، فإن المنهج الدعوي المعاصر مطالب بتبني البُعد الغائي، وربط كل نشاط إنساني وعلمي بالغاية الكبرى، والدعوة الفاعلة هي التي تُذكّر الإنسان دائماً بالغاية الكبرى، وتُخرجه من انشغالاته الدنيوية العابرة، فالمدعو يحتاج إلى بوصلة تعيد توجيهه نحو ما بعد الحياة، مما يساعده على ترتيب أولوياته الأخلاقية، كما أن توظيف الداعية المعاصر لهذه لقاعدة يمنح خطابه الدعوي قوة تأثيرية تتجاوز الوعظ العاطفي إلى الإقناع العقلائي.

وبهذا نخلص إلى أن سورة النبأ ليست مجرد آيات للتلاوة، بل هي خارطة طريق للدعاة إلى الله تعالى، والداعية المعاصر الذي يتقن قاعدة التنبيه والجذب ليؤقظ، وقاعدة التدرج ليُفنع، وقاعدة الربط ليؤثّر، والقاعدة الغائية ليؤصل؛ هو داعيةٌ يمتلك مفاتيح العقول والقلوب في آن واحد.

المطلب الثاني: نموذج تطبيقي للمنهج الدعوي في سورة النبأ في الخطاب الدعوي المعاصر:

يتناول هذا المطلب المنهج الدعوي في سورة النبأ كنموذج إرشادي للخطاب الدعوي المعاصر، بتقديم إطار عملي يربط بين المنهج الدعوي في السورة وبين التحديات الفكرية الراهنة كالإلحاد المادي، الغفلة، وغياب الرؤية الغائية، وصولاً إلى صياغة منهجية قادرة على مخاطبة العقل المعاصر والارتقاء بوجوده، لذا سأقوم بتحليل سورة النبأ من أولها إلى آخرها من خلال المرحلة الدعوية التي سارت عليها الآيات القرآنية في السورة، مُحدّدة الأسلوب الدعوي الذي استخدمته السورة، والقضية المعاصرة التي سأقوم بعلاجها، والتحديات، أو العوائق المحتمل أن يواجهها الداعية في معالجته لهذه القضية، والطريقة الملائمة التي سيسلكها في دعوته، وتحديد الاستراتيجية، أو الأداة التي سيستخدمها لضمان نجاح دعوته، وذلك على النحو التالي:

المرحلة الأولى: الإثارة والتشويق: وهذه أخذت الخمس الآيات الأولى من سورة النبأ، حيث استخدمت أسلوب الاستفهام الاستنكاري، وهذا الأسلوب يُعتبر أنسب أسلوب لمعالجة الحيرة والشك تجاه الغيبيات والبعث، خاصة أنك -أيها الداعية- ستواجه كثيراً من المعوقات، والصعوبات لمعالجة هذه القضية، وذلك لكثرة الملهيات الفكرية في ظل وسائل التواصل الاجتماعي المتعددة، والتي بدورها شغلت الكبير والصغير، وأخذت معظم أوقاتهم، فغيّرت أفكارهم واتجاهاتهم، فإذا أضفت إلى ذلك سطحية الطرح لهذه القضية لن تصل إلى النتيجة التي ترجوها، لذا لزم

(1) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، 213/21-214، والسعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص908.

عليك تطوير أسلوبك في الطرح بما يتواءم وفكر المدعو، بأن تفتح حوارات حول أسئلة الوجود والغاية من الحياة، فهذه أنسب طريقة ممكن أن تسلكها في مثل هذه القضايا، وعليك أن تُعزز طريقتك هذه باستراتيجية تقوي موقفك كأن تقوم بصناعة محتوى سؤال وجواب تفاعلي مثلاً، فإن ذلك أدعى لتجاوب المدعو، وأضمن لنجاح دعوتك.

المرحلة الثانية: الاستدلال الكوني: حيث عرضت سورة النبأ الآيات (6-16) المشاهد الطبيعية، فجمعت من الآيات الكونية المشاهدة والمحسوسة في الحياة اليومية للإنسان، والتي لا مجال لإنكارها، وقامت بعرضها كمنح إلهية امتنانية، وسَلَكَتْ بها طريقاً عقلياً منطقياً لمعالجة قضية مهمة وهي إثبات قدرة الله تعالى وعظمته، ومن أهم المعوقات التي تُعيق الإنسان المعاصر عن التنبه لهذه القضية والإيمان بها هي غفلة المدعو وتعلقه المادي واعتماده على الأسباب دون المسبب، لذا لزم على الداعية لتجاوز هذه المعوقات استثمار الحقائق العلمية والكونية لتعزيز اليقين لدى المدعو، إذ هذه هي الطريقة التي يمكن بها جذب المدعو ولفت انتباهه، وخلق استعداد قوي للتلقّي، فإن أضفت إليها استراتيجية الربط بين الإعجاز العلمي والتدبر الوجداني كان ذلك أقوى في نفسية المدعو، وأبقى في عقلية.

المرحلة الثالثة: التهيب والتذكير بالمصير: وقد تناولت هذه المرحلة الآيات (17-30) من سورة النبأ، حيث استخدَمت أسلوب التهيب بالوعيد في مشهد تصويري حسي، صورت فيه بعض أهوال يوم القيامة، لتثبت حتمية وقوع يوم الفصل تحديد ميقاته، وأتبعته بمشهد تصويري حسي آخر، هو مشهد حال الطاغي يوم القيامة وما يناله من العذاب، وهذه الآيات تعالج قضية الإيمان بالبعث والاستعداد له، وعكست مصير وحال أولئك المنكرين للبعث كنموذج حي لأمثالهم، وقضية البعث والاستعداد له في المجتمع المسلم للأسف تغيب عن أذهان البعض أحياناً كثيرة وذلك إما بسبب الغفلة أو التسويف، أو استسهال الذنوب واستصغارها، وهذه هي أهم الصعوبات التي يجدها الداعية في شخص المدعو المسلم، وأفضل طريقة ممكن أن يتعامل بها مع هؤلاء هو كسر الاستغراق في الدنيا وربط السلوك بالمسؤولية، بإبراز حقيقة يوم الفصل وما يكون فيه، ومقابلته بحقيقة الدنيا وقصرها وفنائها، فإن أكد دعوته هذه بعرض نماذج حية لنتائج سلوكيات معينة في الحياة الدنيا؛ كان ذلك أكمل لما يدعو إليه، وأضمن لبقاء أثرها في نفس المدعو، وأدعى لعكس ذلك على سلوكياته وتصرفاته استعداداً ليوم الفصل.

المرحلة الرابعة: الترغيب والتحفيز: وقد شغلت هذه المرحلة الآيات (31-36) من سورة النبأ، حيث استخدَمت أسلوب الترغيب بالوعد؛ فبيّنت المكافأة التي أعدّها الله تعالى جزاءً للمتقين، ولقاء فوزهم في الابتلاء، فنيل مثل هذه المكانة ليس بالهين السهل، إذ هناك كثير من المعوقات التي تمنع دون الوصول إليها، ولعل أهمها في الوقت الراهن اليأس من التغيير، غلبة الشهوات والمطامع وسيطرتها على النفس البشرية، وواجب الداعية في مثل هذه الحالة إبراز جودة الحياة بالإيمان والاستقامة، وأنه بهما تكمن السعادة في الدارين، فإن أضاف إلى دعوته بعض الاستراتيجيات التي من شأنها أن تُعزز ما يقول ويؤيده كإظهار جمال الاستقامة، وأثرها في النفس، والواقع من خلال نماذج دينية تاريخية أو معاصرة؛ كان ذلك أبلغ وأوقع في نفس المدعو، وأدعى إلى تحفيزه للعمل والالتزام.

المرحلة الخامسة: التثبيت والختام: وهذه المرحلة أخذت الثلاث الآيات الأخيرة من السورة؛ وهي الآيات (37-40)، وقد استخدَمت أسلوب التذكير بعظمة الله تعالى وندم الكافر، وهذه الآيات جاءت لتعالج قضية التوحيد،

والخضوع، وندم الفرصة الضائعة الذي لا ينفع، والتي من أهم الأسباب الموصلة إلى هذه الحالة هو ضعف التوكل على الله تعالى، والتكبر والغرور، ولمعالجة مثل هذه القضايا يجد الداعية أن أفضل طريقة له هي غرس الاستشعار الدائم لعظمة الله تعالى، ومراقبة النفس، فإن ذلك أكثر ما يحتاجه المدعو في هذه الحالة، وحتى يجد الداعية النتيجة المرجوة من دعوته فعليه أن يستخدم استراتيجيات معاصرة تُرغِب المدعو وتجعله أكثر استجابة، كأن يُعزِّز ثقافة المراقبة عبر تطبيقات المتابعة الذاتية، لما لمثل هذه التطبيقات من أثر على تعديل السلوك والالتزام والاستمرارية. وتلخيصاً لما سبق ذكره أثرت وضعه في جدول توضيحي مُبسَّط، يُسهِّل استخراج المنهج القرآني في معالجة القضايا الإيمانية وتوظيفه في الخطاب المعاصر، الذي من شأنه أن يُظهر التدرج القرآني الذكي؛ حيث تبدأ السورة من العقل من خلال التساؤل، ثم الكون من خلال الاستدلال، ثم الوجدان من خلال الترغيب والترهيب، لتنتهي بتسليم القلب لله والتثبيت على ذلك، وهذا هو الترتيب الذي يجب أن يتبعه الخطاب الدعوي الناجح، وإليك الجدول:

المرحلة الدعوية	آيات المستهدفة	الأسلوب الدعوي المستخدم	القضية الدعوية المعالجة	العوائق المحتملة التحديات	الإسقاط المعاصر (التطبيق)	الأداة المعاصرة المقترحة
الإثارة والتشويق	5-1	الاستفهام التقريري	الحيرة والشك تجاه الغيبيات والبعث	كثرة الملهيات الفكرية وسطحية الطرح	فتح حوارات حول أسئلة الوجود والغاية من الحياة	صناعة محتوى سؤال وجواب تفاعلي
الاستدلال الكوني	16 - 6	عرض المشاهد الطبيعية (الاستقراء)	إثبات قدرة الله وعظمة الخلق	الغفلة والتعلق المادي والاعتماد على الأسباب دون المسبب	استثمار الحقائق العلمية والكونية لتعزيز اليقين	الربط بين الإعجاز العلمي والتدبر الوجداني
الترهيب والتذكير بالمصير	30 - 17	الترهيب بالوعد (التصوير الحسي)	حتمية يوم الفصل والميقات	الغفلة واستسهال الذنوب والتسويق	كسر "الاستغراق في الدنيا" وربط السلوك بالمسؤولية	عرض نماذج حية لنتائج السلوكيات في الحياة الدنيا
الترغيب والتحفيز	36 - 31	الترغيب بالوعد (المكافأة)	جزاء المتقين (الفوز)	اليأس من التغيير، وغلبة الشهوات	إبراز "جودة الحياة" بالإيمان والاستقامة	إظهار جمال الاستقامة وأثرها في النفس والواقع
التثبيت والختام	40 - 37	التذكير بعظمة الله وندم الكافر	التوحيد، الخضوع، وندم الفرصة الضائعة	ضعف التوكل على الله، التكبر والغرور	غرس "الاستشعار الدائم" لعظمة الله ومراقبة النفس	تعزيز ثقافة المراقبة عبر تطبيقات المتابعة الذاتية

الخاتمة

سعت هذا الدراسة إلى استجلاء المنهج الدعوي في سورة النبأ وتطبيقه في الخطاب الدعوي المعاصر، محاولة كشف اللثام عن الآليات التي صاغت الخطاب القرآني لتوجيه العقول نحو الحق، وتثبيت العقيدة في مواجهة الشك والإنكار، وقد انتهت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات نوجزها فيما يلي:

أولاً: أهم نتائج الدراسة:

- 1- القرآن الكريم لا يفصل بين إثبات العقيدة وبين واقع الحياة، فكل قضية إيمانية في سورة النبأ استندت إلى برهان كوني ملموس، والمنهج الدعوي فيها نجح في مخاطبة الإنسان بكليته: عقله، قلبه، وحواسه.
- 2- سورة النبأ لا تعتمد على منهج دعوي أحادي، فقد مزجت بين الحوار، والاستدلال العقلي، والوجداني الفطري، بما يوصل المُتَلَقِّي إلى حالة من اليقين.
- 3- سورة النبأ تتبع منهجاً تدرجياً يبدأ من إثارة التساؤل، مروراً بعرض الأدلة، وصولاً إلى تقرير المسؤولية الفردية، وهو مسار دعوي يُعدُّ نموذجاً مثالياً في مخاطبة الفطرة.
- 4- إن سورة النبأ عالجت معضلة الشك بموضوعية فائقة، حيث لم تكتفِ بالإنكار على المنكرين، بل خاطبت عقولهم من خلال مشاهد محسوسة لا يملكون حيالها إلا الإذعان.
- 5- إن المبادئ الدعوية المستنبطة من السورة ليست مرتبطة بزمن نزولها فحسب، بل هي مبادئ كلية صالحة للتطبيق المعاصر في مواجهة الفكر المادي والإلحادي، وذلك بفضل مرونتها وعمق تأثيرها.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

- بناءً على ما تقدم، توصي الباحثة بالآتي:
- ضرورة تبني الدعاة لمنهج عقلنة العقيدة الذي مارسه سورة النبأ، وذلك عبر ربط الإيمان بالحقائق العلمية والكونية بدلاً من الاكتفاء بالوعظ التقليدي.
- إدراج دراسة المنهج الدعوي القرآني ضمن مقررات التربية الإسلامية في الجامعات، لتعزيز ملكة النقد والتحليل الإيماني لدى الطلبة.
- الدعوة إلى إجراء دراسات مشابهة على سور أخرى من المفصل، لاستخراج موسوعة دعوية متكاملة من القرآن الكريم تكون مرجعاً للخطاب الإسلامي المعاصر.
- وفي الختام، فإن هذه الدراسة لم تكن إلا محاولةً لقطف ثمرة من بستان القرآن الكريم الواسع، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ملحق رقم (1)

المرحلة الدعوية	الآيات المستهدفة	الأسلوب الدعوي المستخدم	القضية الدعوية المعالجة	العوائق المحتملة والتحديات	الإسقاط المعاصر (التطبيق)	الأداة المعاصرة المقترحة
الإثارة والتشويق						
الاستدلال الكوني						
الترهيب والتذكير بالمصير						
الترغيب والتحفيز						
التثبيت والختام						

بطاقة التحليل الدعوي لسورة النبأ (نموذج تطبيقي)⁽¹⁾

الحواشي

(1) تهدف البطاقة إلى استخراج المنهج الدعوي القرآني لأي سورة من سورة المفصل المقاربة لها في المنهجية في معالجة القضايا الإيمانية، وتوظيفه في الخطاب الدعوي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

1. ابن رشد، محمد بن أحمد (ت595هـ)، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، شرح: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط1، مارس 1998م.
2. ابن عادل، عمر بن علي (ت بعد 880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.
3. ابن عاشور: محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984هـ.
4. ابن فارس: أحمد (ت395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، (1399هـ - 1979م).
5. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط.ت.
7. أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، د.ب.
8. الأحمدي نكري، عبد النبي بن عبد الرسول (ت1173هـ)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.
9. الأزهرى، محمد بن أحمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، الدار المصرية، مطابع سجل العرب. د.ط.ت.
10. الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ط.ت.
11. الألوسي: محمود (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.
12. البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط.ت.
13. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ - 1979م.
14. حلمي، مصطفى محمد، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1426هـ - 2006م.
15. خضر، عبد الفتاح، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مكتب صلاح الجيلان، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط3، 1412هـ - 1992م.
16. د.م، أصول الدعوة وطرقها 1، جامعة المدينة العالمية، د.ب.
17. د.م، أصول الدعوة وطرقها 2، جامعة المدينة العالمية، د.ب.
18. الرازي، محمد بن عمر (ت606هـ)، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1401هـ - 1981م.

19. الزبيدي، محمد مرتضى (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلاي وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1407هـ - 1987م.
20. الزحيلي: وهبة بن مصطفى (ت1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق - البرامكة، ط10، 1430هـ - 2009م.
21. زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ط3، 1396هـ-1976م، د.ب.
22. السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1431هـ - 2010م.
23. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط4، 1423هـ.
24. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدّم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، ومحمد الصالح العثيمين، تحقيق: عبد الرحمن بن معلاً اللويحق، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422هـ - 2001م.
25. الطوسي، محمد بن الحسن (ت672هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، د.ط.ت.
26. العاملي، أحمد رضا (ت1371هـ)، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط. 1377هـ - 1958م.
27. الفارسي، الحسن بن عبد الغفار (ت377هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق ومراجعة: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث، دمشق - بيروت، ط2، 1413هـ - 1993م.
28. العريفي، سعود بن عبد العزيز، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، تكوين للدراسات العليا، ط1، 1435هـ - 2014م.
29. العلواني، طه جابر، نحو منهجية معرفية قرآنية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009م.
30. عمر: أحمد مختار (ت1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
31. الغزالي، محمد بن محمد (ت505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ط. 1412هـ - 1982م.
32. الفناري، محمد بن حمزة بن محمد (ت834هـ)، فصول البدائع في أصول الشرائع، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م.
33. القرطبي، محمد بن أحمد (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م.
34. القطان، مناع بن خليل (ت1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط3، 1422هـ - 2000م.
35. قطب، سيد (ت1386هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط32، 1423هـ - 2003م.
36. قلنجي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، ضبطه: حامد صادق قنبي وقطب مصطفى سانو، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط1، 1416هـ - 1996م.
37. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم أنيس وآخرون، إشراف: حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، ط2. د.ت.
38. المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، د.ب.
39. نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1431هـ - 2010م.

ثالثاً: الدوريات:

أ/ الرسائل العلمية:

1. رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1432هـ - 2011م.
2. هشام، آلاء أحمد، وعثار، مصباح، الإعلام مقوماته وضوابطه وأساليبه في القرآن، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة - فلسطين، 2009م.

ب/ مجلات علمية محكمة:

1. أذر شب، محمد علي، يقظة الوجدان والإيمان (محاولة لمقاربة مفردة "الوجدان" في مشروع الإمام محمد باقر الصدر)، مجلة الدراسات البيئية في القرآن والحديث، السنة الأولى، العدد (3)، الشتاء 1445هـ.
2. البيتي، عبد الستار، الحوار الذات ... والآخر، كتاب الأمة العدد (99)، محرم 1425هـ.
3. خليفة، خليفة، واللاوي، يوسف عبد، سورة النبأ: من سؤال البعث إلى بعث التساؤل، مجلة الإحياء، مجلة علمية دورية محكمة، جامعة بائنة، الجزائر، المجلد (20)، العدد (26)، سبتمبر 2020م، ص 215-240.
4. العبدلي: أمير فاضل سعد، بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة النبأ (دراسة تطبيقية)، مجلة أنساق، جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم، المجلد الأول، العدد الأول، مايو 2017م.
5. عيسى، عبد الحليم، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم (سورة الأنبياء نموذجاً)، مجلة التراث العربي صادرة عن اتحاد الكتاب العربي، دمشق، السنة السادسة والعشرون، العدد (102)، تاريخ (ربيع الثاني/ 1427 - إبريل/ 2006م).
6. نوفل، أبو المجد سيد، أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (49)، د.ت.

ج/ مواقع إلكترونية:

1. الدميري، أمين، مقال بعنوان: خصائص منهج الدعوة، 28/3/2017م، <https://www.alukah.net>.
2. أبو هاشم، هدى، مقالة بعنوان: خصائص الحوار في القرآن الكريم، تأملات قرآنية، 18/يوليو/2023م، <https://mawdoo3.com>.